

مكتبة ألبا پرس

المرأة فى حقل الفكر والثقافة

الأستاذة الدكتورة

عبلة الكحلاوى

حياتها وفكرها

إعداد

بكر إسماعيل

رئيس مؤسسة ألبا پرس

ممثل كوسوڤا في مصر

مكتب آلبا برس

المرأة في حقل الفكر والثقافة

الأستاذة الدكتورة / عبلة الكحلاوي

حياتها وفكرها

إعداد

بكر إسماعيل

ممثل كوسوفا في مصر

الطبعة الأولى
2003م

رقم الإيداع : 2003/3409 م

العنوان :
31 ش أحمد حسني – رابعة العدوية – مدينة نصر
هاتف/فاكس : 00202-4035912
القاهرة

تقديم

بقلم: الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

الداعية والمفكر الإسلامي

عندما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى [11هـ / 632م] كان تعداد الأمة المؤمنة التي دخلت الإسلام، وانخرطت في رعية الدولة الإسلامية الأولى 124,000 من المسلمين والمسلمات.

وعندما رصد علماء" التراجم والطبقات" أسماء الأعلام والصفوة والنخبة التي تربت في مدرسة"النبوة" وتميز عطاؤها في مختلف ميادين العطاء - من الصحابة والصحابيات- رصدوا أسماء نحو من ثمانية آلاف من صفوة الصفوة، والطلائع الذين قادوا وأنجزوا مع رسول الله ﷺ تأسيس الدين وإقامة دولة الإسلام، ومن بين الثمانية آلاف هؤلاء كان هناك أكثر من ألف من النساء ! أى أن التحرير الإسلامي للمرأة قد دفع إلى مراكز القيادة والريادة أكثر من واحدة من بين كل ثمانية من الصفوة والنخبة إبان ثورة التحرير الإسلامي في أقل من ربع قرن من الزمان! وهى أعلى نسبة للريادات النسائية في أى ثورة من ثورات التحرير أو نهضة من النهضات في أى مجتمع من المجتمعات أو أية حضارة من الحضارات عبر تاريخ الثورات والنهضات والحضارات.

ولم تكن عظمة التحرير الإسلامي للمرأة – التي كانت تؤد حية وتؤد معنوياً، وتعامل كأنها من سقط المتاع– لم تكن عظمة هذا التحرير واقفة فقط على هذا العدد وهذا الكم وهذه النسبة، غير المسبوقة ولا الملحوقة.

وإنما كانت العظمة أيضا وبالدرجة الأولى في " نوعية التحرير" الذي أثمر ريادات وقيادات نسائية لا تزال حضارتنا الإسلامية تباهى بهن الدنيا حتى هذه اللحظات، ويكفى أن نعلم أن من نماذج هذه الريادات والقيادات في صفوة الصحابيات رضوان الله عليهم ، أمثال:

o خديجة بنت خويلد [68-3ق هـ / 556-620م] التي سبقت كل الرجال إلى الإيمان بالدين الوليد، وكانت الداعمة والمجاهدة بالعقل والحكمة والمال، وأيضا بالعواطف المعطاءة لرسول الإسلام ودعوته وأمته حتى كان عام وفاتها عام الحزن والحداد للجماعة المؤمنة كلها.

o وأسماء بنت أبي بكر الصديق [27ق هـ - 73هـ / 597-692م] التي حملت أمانة سر الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة [اهـ 622م] وشاركت في تنفيذ هذا الحدث المحوري العظيم، وشدت أزر زوجها البطل الزبير بن العوام [28ق هـ - 36هـ / 596- 656م] فكانت تهئ له بيته وتربى ولده عبد الله بن الزبير [1-73هـ / 622-692م] على البطولة والفداء والاستشهاد، وتعارض وتجابه الطغاة من أمثال

الحجاج بن يوسف الثقفي [40-95هـ/ 660-714م] ومع كل ذلك تظل أسماء الأنثى التي تتزين بالحشمة الإسلامية، فلا تلبس ما يكشف أو يصف أو يشف، وتحافظ على مشاعر الغيرة المفرطة عند زوجها.

○ والشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس، القرشية العدوية [20هـ / 640م] التي سبقت إلى الإسلام، وبايعت رسول الله ﷺ على الدخول في الإسلام وأمته ودولته، وتميزت بالعقل والرأى والحكمة، واشتغلت بتعليم القراءة والكتابة ، حتى كانت المعلمة لحفصة أم المؤمنين، وروت أحاديث رسول الله ﷺ وكانت تحاوره وأحياناً تلومه، فيعتذر إليها ﷺ وبلغت في المشاركة في السلطة والدولة، أن ولاها عمر ابن الخطاب " ولاية الحسبة" أى" وزارة" التجارات والأسواق، وأوزانها ومعاملاتها! تراقب وتحاسب وتفصل بين التجار وأهل السوق من الرجال والنساء.

وأم هانئ فاختة بنت أبي طالب [40هـ / 661م] التي استلمت عام الفتح [8هـ / 629م] ومع أن زوجها المشرك قد فر بشركه إلى نجران يوم الفتح،فلقد أجارت – أى أعطت الأمان- لرجلين من قومه- بنى مخزوم- كانا مطلوبين للقصاص الإسلامي، ووقفت لذلك في وجه أخيها علي بن أبي طالب، الذى هم بتنفيذ القصاص فيهما، فصارعته حماية لمن أجارت، حتى لم يستطع من قوتها فكاكا! واستجاب رسول الله ﷺ لعهدها ولإجارتها قائلاً:

((قد أجرنا من أجرت، وآمنا من أمنت يا أم هانئ، لكن لا تغضبي عليا، فإن الله يغضب لغضبه، فأطلقت أخاها، فداعبه الرسول ﷺ قائلاً: يا علي، غلبتك امرأة ! فقال علي: والله يا رسول الله ما قدرت أن أرفع قدمي من الأرض، فضحك رسول الله ﷺ وقال: لو أن أبا طالب ولد الناس كانو شجاعا)).

لقد بلغ الإسلام بالتحرير لضمير المرأة وإرادتها الذروة، فها هو رسول الله ﷺ النبي وقائد الأمة ، ورئيس الدولة، والفاتح المنتصر يخطب لنفسه أم هانئ، بعد أن فرق الإسلام بينها وبين زوجها المشرك، لتكون له زوجاً وللمؤمنين أماً، فتعتذر أم هانئ عن خطبة الرسول لها، في أدب جم وحكمة بالغة ، فتقول لخير خلق الله:

يا رسول الله لأنت أحب إلي من سمعى وبصري، وحق الزوج عظيم، فأخشى إن أقبلت علي زوجي أن أضيع بعض شأني وولدي، وإن أقبلت على ولدي أن أضيع حق زوجي!..

فقبل المصطفى ﷺ اعتذارها ، واحترم رغبتها التفرغ لأولادها، صنع ذلك وهو القائد المنتصر يوم الفتح الأكبر والانتصار الأعظم، وغالب عاطفته الإنسانية، وحبه لأم هانئ، وهو الذى كان قد سبق وخطبها من أبيها أبي طالب، بعد وفاة زوجته خديجة، وقبل زواجها في بني مخزوم، ولكن عمه أبا طالب اعتذر يومها للرسول، بأنه قد وعد آل مخزوم أن يزوجها فيهم لهبيرة بن أبي وهب المخزومي، وقال أبو طالب للرسول ﷺ يومئذ:

يا بن أخي إنا قد صاهرناهم، والكريم يكافئ الكريم.

غالب الرسول المنتصر عواطفه الإنسانية، واحترم حرية أم هانئ، لأن مدرسته – مدرسة النبوة- هى التي أنجزت هذا التحرير للنساء، وأثنى عليها، وعلى ما تمثل من منظومة للقيم وشموخ للحرية والتحرير فقال ﷺ: (إن خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على بعل في ذات يده)!

وعائشة بنت أبي بكر الصديق [9ق هـ-58هـ / 613- 678م] زوج النبي ﷺ ، وأم المؤمنين الزوجة الرقيقة والحبيبة، وراوية الحديث وحافظة السنة النبوية والسيرة العطرة، والفقيهه التي تراجع القراء والرواة والفقهاء والمجتهدين من الرجال، والمشيرة في الشئون العامة، والمتذوقة للفنون التي تعرضها فرقة فنية- من الأحباش- في مسجد النبوة، والممارسة لرياضة الجرى مع زوجها ﷺ أثناء السفر إلى الغزو والجهاد، والمشاركة في الصراع السياسي الذي بلغ حد القتال إبان الفتنة الكبرى.

وحفصة بنت عمر بن الخطاب [18ق هـ - 45هـ / 604-665م] زوج الرسول ﷺ وأم المؤمنين التي سبقت إلى الإسلام بمكة، وهاجرت بدينها وعقيدتها إلى المدينة المنورة، وكانت شاعرة وخطيبة فصيحة، وراوية للحديث، إئتمنها الأمة على حفظ صحائف القرآن عندما جمع المسلمون صحائفة على عهد أبي بكر الصديق، فحفظته حتى أسلمته إلى الخليفة عثمان بن عفان،

وشاركت في الناس بالرأى في تدبير شئون الأمة بعد استشهاد أبيها الفاروق، ورثته نثراً وشعراً، وخطبت في الناس بمناقب وفضائل أبي بكر وعمر، وتحدثت عن سنة الإسلام في الاختيار الشورى للخلفاء والبيعة التعاقدية بين الأمة وبينهم.

هذه نماذج ستة لأكثر من ألف من النساء اللاتي حررهن الإسلام، فتبوأن مكان الريادة والقيادة بين النخبة والصفوة التي أقامت الدين وأسست الدولة ووحدت الأمة، قبل أربعة عشر قرناً من الزمان.

وإذا كانت رياح الجاهلية قد أعادت بعض التقاليد والعادات، التي سبقت وسادت مجتمعات ما قبل الإسلام، فإن هذه التقاليد الراكدة لم تستطع غلبة إنجازات التحرير الإسلامي للمرأة، رغم مغالبتها لهذه الإنجازات- فظلت روح هذا التحرير وثمراته ملحوظة حتى في عصور التراجع الحضاري الذي أصاب عالم الإسلام، في ظل عسكرة الدولة تحت حكم المماليك، والعثمانيين، فظلت حياتنا الاجتماعية الإسلامية زاخرة بنماذج النساء المحدثات، والفقهيات، والشاعرات والأديبات ، اللائي بلغ شأوهن في العلم الحد الذى تتلمذ عليهم وأخذ"الإجازة" العلمية منهن عدد من كبار أئمة الفقهاء والحفاظ والمحدثين والمجددين.

وعندما رصد عالم التاريخ والتراجم والطبقات عمر رضا كحالة، [1323- 1408هـ / 1950- 1987م] أعلام النساء اللائي

تفوقن وبرزن وتقدمن صفوف الصفوة في تاريخنا الحضاري، إذا به يترجم لثلاثة آلاف من أعلام النساء في المحيط العربي وحده- وهو محيط لا يمثل إلا خمس أمة الإسلام.

فلما جاءت نهضتنا الحديثة، لتنقل العلم والتعليم من "فرض الكفاية" إلى "فرض العين" سبق التعليم المدني في هذا الميدان، فتخرجت من مؤسسات التعليم المدني نماذج رائدة وقائدة من النساء، لكن ظلت المرأة بعيدة عن التخصص في الشريعة الإسلامية وعلومها، اللهم إلا من فلتات اقتحمن هذا الميدان بجهدهن الذاتي والخاص، فلما كان تطوير الأزهر في ستينيات القرن العشرين، انفتحت الأبواب مرة أخرى أمام المرأة المسلمة لحمل أمانة الدين مع أمانة الدنيا، فتواصل واقعنا المعاصر مع عصر النبوة، ورأينا فقيهات يتخرجن من الأزهر الشريف يحملن أمانة الدين إلى الناس، بينما لا تزال كنائس النصرانية وحاخامات اليهودية يحرمون المرأة من هذا الشرف حتى هذه اللحظات!

يتذكر المرء كل هذا، وأكثر من هذا، عندما يرى العطاء المتميز للأستاذة الدكتورة/ عبلة الكحلاوي، وعطاء زميلاتها من جيل الفقيهات اللاتي أثمرتهن هذه العقود القليلة التي مرت بعد دخول المرأة في رحاب الأزهر الشريف.

وإذا كنا نتطلع إلى غد أكثر إشراقاً من يومنا، فإننا ندعو المولى سبحانه وتعالى للأستاذة الدكتورة/ عبلة الكحلاوي ولزميلاتها

بالتوفيق في تخريج أجيال من صفوة النساء العالمات الفقهيات العابدات القانتات، لتحمل المرأة المسلمة أمانة الدين في واقعنا ومستقبلنا مع الرجل، كما حدث ذلك في مدرسة النبوة ، قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، ولتقتدي المسلمة الحرة في عصرنا بالنماذج الرائعة من النساء اللاتي تربين في مدرسة لمحمد بن عبد الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذي علمنا، وعلم الدنيا أن النساء شقائق الرجال.

4 أكتوبر 2002م — الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

الموافق : 27/ رجب 1423هـ — الداعية والمفكر الإسلامي

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وآله وصحبه. وبعد،،

إن الفكر الإسلامي المستنير له دور ريادي وفعال في التعبير عن قضايا العصر، والتعامل الجاد والمفيد مع مستجدات الحياة، كما أن الفكر هو الوعاء الحضاري الذي تصب فيه الأمة كل معطياتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

فالفكر هو المقياس الصحيح لتقدم الأمة، والنبراس الوحيد الهادي إلى سواء السبيل، وإن أى تخلف للفكر أو سطحية يعد دليلاً واضحاً على انحدار الأمة ووقوفها على حافة الهاوية ولذلك كان الفكر مرهوناً باعتزاز أهله والقائمين على نشره.

والتعرف على الفكر والمفكرين موضوع في غاية الأهمية والخطورة، حيث التعرف على حياة المفكرين العلمية، ونشاطهم في مجال الفكر والحقل الثقافي، ومدى

إبداعهم في التفكير وطريقتهم المثلى في معالجة الأمور، وكذلك معرفة أثرهم في المكتبة الإسلامية، ودورهم في خدمة قضايا العالم الإسلامي والدفاع عن حقوق المسلمين في كل زمان ومكان.

والفكر ليس قاصراً على الرجال فقط، بل هناك فرسان في ميدان الفكر والثقافة من النساء، وليس هذا وليد اليوم، بل هذا منذ بعث النبي ﷺ وظهور الإسلام، فهناك عمالقة من النساء خاضت غمار البحث والدرس، ولا أدل على ذلك من قول الرسول ﷺ في السيدة عائشة- رضى الله عنها- ((**خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء**)) أى تعلموا نصف الدين وخذوه عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها.

وظل الأمر على ذلك حتى يومنا هذا ورأينا نساء بارزين في مجال الفكر والثقافة والمشاركة في صنع الحضارة الإنسانية.

فالمرأة الآن لها مكانتها العظمى في المجتمع الذي تعيش فيه، وتساهم بدور بناء في بناء الصرح الشامخ لتعاليم الإسلام ومبادئه السمحة، فالمرأة الآن طبيبة ماهرة،

ومهندسة معمارية، وغير ذلك ومفكرة تناقش وتحاور وتصنف وتجادل بفكر مستنير، شأنها في ذلك شأن الرجل.

كما أنها تقوم بدور فعال في خدمة قضايا المسلمين على المستويين المحلي والعالمي، ولولاها الآن على الساحة لافتقدنا علماً وفقهاً كثيراً، لأن هناك من الموضوعات الآن لا يحقق الكلام فيها إلا النساء، كما في الموضوعات الخاصة بالنساء ولا يفهمها إلا خبيرة وبصيرة بذلك.

وبناء على ذلك فلا نستطيع بأى حال من الأحوال أن نحجم دور المرأة أو نقلصه في ميدان الفكر والثقافة والعناية بقضايا العالم الإسلامي.

وإنه ليشرفني ويسعدني في نفس الوقت أن أتحدث هنا في هذا الكتاب عن مفكرة كبيرة لها دور بارز وفعال في حقل الفكر والثقافة، وقامت بجهود بناءة داخل مصر وخارجها في سبيل نشر العلم وخدمة قضايا المسلمين.

إنه الحديث عن الأستاذة الدكتورة/ عبلة الكحلاوي ودورها في حقل الفكر والثقافة، وهى تعتبر مثالاً بارزاً على مدى مساهمة المرأة في إنعاش الحياة

الثقافية والاجتماعية، كما أنها تعتبر من أعلام الفكر المعاصر من النساء، بل إنها من جيل الرواد الذين استطاعوا أن يحققوا الكثير من القضايا ويكشفون اللثام عنها.

والحديث عن تلك الشخصية الكبيرة يتمثل في نبذة مختصرة عن حياتها الفكرية والثقافية، ثم أثرها في مجال الثقافة، ثم دورها في خدمة قضايا العالم الإسلامي، ثم إسهاماتها في مجال التأليف والتصنيف، ثم خاتمة في أهم نتائج البحث.

والله الموفق.

بكر إسماعيل
ممثل كوسوفا في مصر
Tel: 0105171438
القاهرة

الأستاذة الدكتورة/ عبلة الكحلاوي
حياتها ونتاجها العلمي

الاســـم: عبلة محمد الكحلاوي.

الحالة الاجتماعية: أرملة اللواء مهندس ياسين بسيوني.

تاريخ الميلاد: ولدت في 15/ 12/ 1948م.

الوظيفة الحالية: عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات "بورسعيد" جامعة الأزهر. أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية – جامعة الأزهر.

المؤهلات العلمية:

بدأت الدكتورة حياتها العلمية بنشاط وواصلت الدراسة حتى حصلت على درجات علمية ووظيفية.

وتتلخص مؤهلاتها العلمية فيما يلي:

[1] حصلت على ليسانس تخصص دراسات إسلامية (فقه مقارن) سنة 1969م.

[2] حصلت على درجة التخصص الماجستير بعنوان(الشورى قاعدة في الحكم الإسلامي) بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى سنة 1974م.

[4] حصلت على درجة أستاذ مساعد سنة 1985م.

[5] حصلت على درجة أستاذ سنة 1996-1997م.

[6] دبلوم دراسات فلسطينية مركز الأهرام سنة 1970م معهد الدراسات العربية.

[7] شغلت رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بمكة.

[8] شغلت منصب رئيس النشاط اللامنهجي بالكلية من عام 1979-1989م.

[9] شغلت منصب مسئول العلاقات الخارجية بوزارة الأوقاف سنة 1970-1973م.

[10] حاضرت بكلية التربية بالرياض (تدريس مادة الاقتصاد الإسلامي).

[11] شغلت منصب مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية سنة 1975م.

هذه هى أبرز المؤهلات والدرجات العلمية والوظيفية التي تدرجت وشغلتها الأستاذة الكبيرة، وهى كلها كما ترى تدل على أنها كانت تقوم بنشاط دائم، وتعمل بصفة مستمرة بدأب دون انقطاع على مواصلة الحياة العلمية والفكرية.

نتاجها العلمي والثقافي:

إن الأستاذة الدكتورة/ عبلة الكحلاوي ضاربة بقدم راسخة في ميدان الفكر والثقافة وشخصية كهذه لابد وأن يكون لها أثر واضح وفعال ولها بصمات بارزة في ميدان التأليف والتصنيف، وبالفعل فقد ألفت كتباً غاية في الجودة والإتقان، أهمها وأبرزها ما يلي:

[1] الحج والعمرة وأهم قضايا المرأة – دراسة فقهية مقارنة.

[2] قبس من هدى القرآن الكريم والسنة- دراسة فقهية مقارنة.

[3] حكم عمل المرأة والحدث- طبعة اليونسكو.

[4] الخلع دواء من لا دواء له-- دراسة فقهية مقارنة.

[5] المرأة بين طهارة الباطن والظاهر- دراسة فقهية مقارنة.

[6] النبوة والدعوة في القرآن الكريم والسنة- دراسة فقهية مقارنة.

[7] التحريم المتعلق بالدم- دراسة فقهية .

[8] بنوك اللبن وبنوك التقوى. دراسة فقهية .

[9] فاعلية الزكاة في حماية الاقتصاد والتنمية – دراسة .

[10] العلاقات الروحية بين الزوجين والأحكام المشتركة- دراسة.

[11] الزواج والطلاق والخلع في المنظور الإسلامي- كتاب بحثي نشر في مجلة البحوث الجنائية سنة 1995م.

[12] السلام بين الأديان- كتاب بحثي نشر وترجم إلى الألمانية والإنجليزية.

[13] مجموعة قصصية رقم (1)- مسافر بلا طريق.

[14] مجموعة قصصية رقم (2)- الهانم زعيمه.

[15] مجموعة قصصية رقم (3)- آمنة بالله، صوم المرأة المسلمة، السيرة العطرة، نعمة الكمالات حول الإعاقة.

المؤتمرات واللقاءات والمشاركات العلمية:

لقد ساهمت الأستاذة الدكتورة/ عبلة الكحلاوي بنشاط واسع في هذا المجال، حيث حضرت العديد من الندوات واللقاءات العلمية، وشاركت بالعديد من البحوث وإلقاء المحاضرات، وهى في كل ذلك تثير قضايا ساخنة لها خطورة ومكانة في المجتمع المسلم، كما أنها تعتبر عملاقة وفارسة في هذا الميدان.

ومن أبرز وأشهر مؤتمراتها ومشاركاتها العلمية ما يلي:

1- المرأة والتنمية – مصر- سنة 1994، مشاركة ورقة العمل.

2- الإعلام الإسلامي وتحديات العصر –قاعة الشيخ صالح الأزهر- سنة 1996م، مشاركة ورقة العمل.

3- حقوق الطفل في الإسلام –قاعة الشيخ صالح الأزهر- سنة1995، مشاركة ورقة العمل.

4- الاقتصاد الإسلامي ودوره في ترشيد الاستهلاك – بور سعيد.

5- المرأة المسلمة مالها وما عليها – هولندا- اوترخت، سنة 1997م، أبحاث.

6- السلام بين الأديان- ألمانيا- أوسنبروك، سنة 1998م، أبحاث.

7- مرور أربعة قرون على الهجرة – مالطا –بني غازي- سنة 1995، مشاركة ببحث.

8- مؤتمرات النبوية حول الإعجاز العلمي في القرآن .

إلى جانب العدد من اللقاءات والمناظرات- إنجلترا – المركز الإسلامي- لندن- برمنجهام – كيل- ألمانيا- فرانكفووت أوسنا بروك مشاركة في لقاءات الشباب المسلم.

فرنسا- هولندا- في الإسلام وقضايا العصر.

المشاركة العالمية:

- مقالات متنوعة.

الأهرام- الأخبار- الوفد- نصف الدنيا- زهرة الخليج- المسلمون- مجلة رابطة العالم الإسلامي(عدة مقالات).

- المنتدى الثقافي بورسعيد كل عام.

السويس – الإسماعيلية.

حلقات تلفزيونية:

الرضا والنور	عدة حلقات	القناة الأولى
في رحاب المسجد	عدة حلقات	
المكتبة الإسلامية	عدة حلقات	
الكلمة الطيبة	عدة حلقات	
ربيع المر	عدة حلقات	

مشاركة في الأوريت على الهواء عماد أديب ولقاءات متعددة.

مشاركة في ART يا هلا

مشاركة في النيل النيل للدراما

سات

مشاركة في اقرأ حلقات طول شهر رمضان

صباح الخير يا مصر القناة الأولى

إذاعة:

صوت العرب برنامج إسبوعي صباح الخير يا عرب

القرآن الكريم الأسرة المسلمة

البرنامج العام ربات البيوت

القاهرة الكبرى فتاوى

تم تسجيل فقه النساء بكامله C.D.S إلى جانب العديد من المشاركات الإعلامية في أوروبا وأمريكا واستراليا، هذا إلى جانب العديد من الرسائل العلمية دكتوراه ماجستير في مصر والسعودية.

تحليل لبعض آثارها الثقافية:

إن الأستاذة الدكتورة/ عبلة محمد الكحلاوي قد أثرت المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من المؤلفات وقد أبدعت فيها وأجادت، وصارت مصنفاتها مسيرة الشمس، ورزقت الحظ السامي عن اللمس، ابتكرت فيها الآراء المفيدة، وأنتجت فيها الأبحاث القيمة، كلامها دقيق، وموضوعاتها رائعة، فهي تحلل ببراعة، وتناقش بهدوء، وتصل إلى نتائج علمية وبحثية خطيرة وكل ذلك

بأسلوب بديع، وكلام أدبي غاية في الدقة والإحكام، والجودة والإتقان، وهى حين تكتب تلامس الحياة الواقعية، فتكتب بموضوعية ودون حيادية، وأبحاثها تحمل علماً غزيراً.

ولذلك آثرت وأنا أتحدث عن شخصية أستاذتنا الجليلة أن أقوم بذكر نبذة موجزة عن بعض مصنفاتها ليظهر لقارئ هذا الكتاب مدى الإبداع والتفنن في ميدان الفكر والثقافة، وليعلم القارئ مدى قيمة المرأة ومساهمتها الفاعلة في حقل الفكر والعلم وإليك الآن بعضاً من مؤلفاتها مع التحليل الموجز، ويتلخص ذلك فيما يلي:

أولاً: من إبداعات الأستاذة الدكتورة/ عبلة الكحلاوي الثقافية كتاب بعنوان: (**بنوك اللبن دراسة فقهية مقارنة**).

وهذا الكتاب يناقش قضية مهمة وخطيرة أثيرت مؤخراً هى قضية" بنوك اللبن" فقد ارتفعت الأصوات منادية بإنشاء هذه البنوك لتجميع ألبان طبيعية من أمهات مرضعات، وحفظها، توطئة لتقديمها لمن يحتاج إليها من الأطفال.

إنها قضية خطيرة نظراً لما يحيط بها من ملابسات ومحظورات، فقد يترتب على الأخذ بفكرة " بنوك اللبن" أن يتزوج الرجل من إحدى النساء المحرمات عليه بالرضاع دون أن يدرى.

وقد عرضت الدكتورة في هذا الكتاب آراء المؤيدين وآراء المعارضين لفكرة إنشاء مثل هذه البنوك، وناقشت آراء المذاهب

الفقهية المختلفة حول هذا الموضوع وانتهت إلى رأيها الخاص الذي يحسم هذه القضية الخطيرة.

والأستاذ الدكتورة / عبلة الكحلاوي ترى في مقدمة هذا الكتاب أن الفكر الإسلامي لا يجد حرجاً من التطلع إلى كل ما هو مفيد نافع عند غير المسلمين، واستشارة خبرائهم والاستفادة بخبراتهم إحياء للأمة الخيرة، أما إن تعلقت الأمور الوافدة إلينا من غير المسلمين، بما يمس جوهر العقيدة من حلال وحرام أو يلج إلى منطقة الشبهة فالأمر يدعو للكلمة والرأي.

ثانياً: ومن إبداعات الدكتورة - أيضا- كتاب بعنوان: (**الحج والعمرة وقضايا المرأة**) تحدثت فيه عن المرأة في جهادها الذي هو الحج والعمرة، مستضيئة بالقبس الساطع المتمثل في كتاب الله تعالى والسنة النبوية المطهرة، وآراء أئمة المذاهب في هذا الموضوع، وهي في هذا الكتاب لم تخاطب المرأة كما خاطبها شقائقها من الرجال باعتبارها مناط تكليف فحسب، هذا مالها، وذاك ما عليها، بل جعلت لها موضعها الذي أكرمها الله به في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: 71].

فخاطبت فيها فكر متأججاً ، وروحاً ظمأى، وعقلاً بكراً، لم يوهن بفعل الزمن ولم ينضب معينه، إذ لم تتكشف بعد نفائسه.

هذا وقد قسمت الكتاب إلى بابين، في داخلهما تقسيمات الفصول والمباحث، فتحدثت عن الرحلة إلى الأماكن المقدسة، ثم

أعمال الحج والعمرة من إحرام، وطواف، وسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، وأعمال أيام التشريق، وأعمال العمرة، وزيارة المسجد النبوي، وقبر النبي ﷺ وغير ذلك من الموضوعات المفيدة التي يحتاج إليها المسلم والمسلمة في كل مكان.

ثالثاً: من آثار الأستاذة الدكتور – أيضا- كتاب بعنوان: **(البنوة والأبوة في ضوء القرآن الكريم والسنة).**

وقد دفعها إلى تأليف هذا الكتاب أنها لمحت في عصرنا الحاضر شذوذاً عن الجبلة وانقلاباً عن الفطرة، حيث يقتل الولد أباه، وتترك البنت أباها وتأخذ مدخراته وتترهب للخارج بدون عائل، وغير ذلك مما يقرأ ويسمع من مسلسل الجحود والعقوق الذي ينبئ عن انتشار الفساد في المجتمع.

ومن خلال تتبع ظواهر منحرفة عديدة في هذا المجال وجدت الدكتورة أن غياب الإيمان وما يعززه من تراحم وعاطفة ومحبة وخير، وأيضا الفهم الخاطئ للدين وتعاليمه ثم أخذنا بالأساليب التربوية والاجتماعية المستوردة الدخيلة على موروثاتنا العقدية والثقافية وراء هذه الانتكاسة.

ومن ثم قامت الدكتورة بمعالجة القضايا المتعلقة بذلك بموضوعية وواقعية، ووضعت بين يدي القارئ تفصيلاً موجزاً حول منهج الشريعة الإسلامية لرعاية الطفولة وحمايتها، كما أنها

عرضت عرضاً سريعاً لما تضمنته نصوص المواثيق العالمية التي أهمها أمر الطفولة في العالم.

ثم جعلت في **خاتمة** هذا الكتاب فصلاً موجزاً يتضمن حقوق الآباء على الأبناء حسبما ورد في الشريعة الإسلامية الغراء.

وقد قسمت الكتاب إلى مقدمة وخمسة فصول، فذكرت في المقدمة دوافع البحث وأهميته، ثم تحدثت في الفصل الأول عن المواثيق الدولية في ضوء الشريعة الإسلامية والمواثيق العالمية لحماية الطفولة، وعملت دراسة تحليلية للمواثيق العالمية في ضوء الشريعة الإسلامية.

أما الفصل الثاني بعنوان:(**حماية الإسلام للطفولة في المرحلة الجنينية**)، وتعرضت فيه لموضوع التعريف بالجنين، وحقه في الحياة، كما أثارت موضوعاً خطيراً وعالجته بواقعية وهو موضوع الإجهاض.

أما الفصل الثالث فبعنوان: (**حماية الإسلام للطفولة في مرحلة ما بعد الميلاد**)، وتعرضت فيه لموضوع سنن وآداب استقبال المولود، والحضانة، والرضاعة، والنفقة، والولاية، والميراث، وحقه في تنمية ماله.

أما الفصل الرابع فبعنوان: (**حل اللقيط واليتيم**) لا يتيم يهان في شريعة الإسلام وتعرضت فيه لموضوع أحكام اللقيط، ومسألة لا يتيم يهان في شريعة الإسلام وسلوكيات الآباء.

أمـا الفصـل الخـامس والأخـير فبعـنوان: (**الأبـوة في ضـوء الشـريعة الإسـلامية والمواثـيق الدولـية**)، وتعرضـت فـيه للموضـوعات الهامـة في المجـتمع كموضـوع الأبـوة، والمواثـيق الدولـية والأبـوة في الشريعة الإسلامية،وحقوق الآباء على الأبناء، وغير ذلك.

رابعـاً: من تـراثها الـثقافي – أيضـا- ذلك البحـث الدقيق الـذي يحمل عـنوان: (**دراسـات فقهـية معاصـرة**) الـذي بحثـت فـيه موضـوعـات قـيمة دقـيقة وخطـيرة، فتعرضـت لموضـوع الـتداوى وحكـم الـتداوي بالحـرام، والإيمـان بحكـم الله القـدرى، والصبر عـلى الـبلاء،والرخص المـتاحة، والـتداوي في القـرآن الكـريم والسـنة الـنبوية المطهـرة، وتوجـيهات الشـريعة الإسـلامية للحفاظ على نعمة العافية ، ومدى مشروعية حفظ الدم في بنوك خاصة، والفرق بين التحريم بالرضاع والتحريم بـالدم بحسب مـا ذكر في الشريعة الإسلامية، وغير ذلك من الأبحاث النافعة والمفيدة.

وقـد توصـلت الدكـتورة / عـبلة الكحـلاوي في أثـناء هـذا البحث لعدة نتائج هى غاية في الأهمية، وتتلخص فيما يلي:

[1] أن نقل الدم دواء تستدعيه الضرورة وخاصة إن تعين بذاته،وأما الرضـاعة فـتغذية تـتحقق معهـا الخـيارات والـبدائل ولـيس ذلـك بالنسبة للدم.

[2] أن نقل الدم لا يتم إلا عن طريق وسيط معقم من حقن أو ما يقوم مقامه بينما الرضاعة تتم عن طريق المص أو الوجور أو السعوط أو الحقن عند القائمين به.

[3] أن نقل الدم يتعذر فيه تمييز المتبرعين نظراً لاحتمال احتياج المريض لعنصر واحد من عناصر الدم أو لكميات كبيرة منه، بينما اختلاط الراضعات من عدد من المراضع قد يورث الشبهة عند البعض وقد يرجح الطالب عند البعض وقد يثبت التحريم عند البعض.

[4] أن العلة من التحريم بالرضاع الزواج بالمرضعة أو أحد أصولها أو أحد فروعها بينما العلة من التحريم في الدم كونه مطعوماً.

[5] أن التحريم بالرضاع يقتضي أن لا يتعدى من الرضيع الحولين ولا اعتبار لرضاع الكبير، أما نقل الدم المتعين كدواء لا ينظر فيه إلا للحالة المرضية التي قد تبدأ من سن يوم وربما إلى آخر العمر.

[6] أن التداوي بنقل الدم يعد دواء منقذاً إن تم الشفاء توقف من فوره إذ لا ضرورة منه، فالدم برغم كونه أصل اللبن إلا أنه لا يعد بديلاً للغذاء، أما الرضاع فتتحقق به التغذية كما تتحقق به فوائد نفسية وروحية وعاطفية حيث يتعرف الرضيع على الحياة من خلال أمه فيستقر نفسياً وتتهيأ خريطته الإدراكية لممارسة الحياة، كما تتوثق الصلة الروحية والنفسية بينهما فتسكن نفسه، ولعظيم دور المرضعة حق لها أن تلزم وتكرم، فالتكريم علة التحريم لا ما ينشذ

العظم وينبت اللحم، فالمصة والمصتان لن يوجب التحريم بها لا أثر لهما في إثبات أو إنشاذ ولو رضع ابن خمس سنوات لبناً خالصاً وقد منعنا عنه الغذاء فترة فإن هذه الأيام التي ارتضع فيها لابد وأن تؤثر على تغذيته، ومع ذلك لا تحرم إذ منشئا التحريم تكريم الأم المرضعة، واعتبارها مساوية للأم الأصلية وخاصة وقت الاحتياج والذي يبدأ من الميلاد إلى العامين، وعلى ذلك فقياس نقل الدم على الرضاع قياس غير صحيح، وذلك لعدم توافر شرط الفرع في تساوى العلة بين الأصل المقيس عليه، والفرع المقيس، وعلى ذلك فلا يجوز لنا أن تقول: يحرم من نقل الدم ما يحرم من الرضاع.

وأخيراً ترى الدكتورة أننا جميعا مطالبون كدعاة باستنفار الخير الذي في القلوب، ومداواة الجراح وتخفيف آلام كل مكروب، وليس هناك أعظم ألماً من طفولة لا تجد مأمنها في ضمة جناحى أم، طفولة لم تعرف إلا الدمع الذي تنساب قطراته إلى فيه، فيطعمه كأول زاد له في دنياه الحزينة، إذ لا أم راعية ولا يد حانية، أى قهر ألم بمن كان له في ظلمة الأرحام متسع ونجاة ورزق موفور لا دخل فيه لمنة وإرادة.

من هنا ترى الدكتورة في نهاية بحثها وجوب الإقبال على اليتيم الذي لا حول له ولا قوة بما يؤمن روعه وتسكن له نفسه ولن يتأتى ذلك إلا بحمله وهدهدته وضمة واحتوائه، فهى تحمى روحه

وبدنه، وتطمئن نفسه، هذه الخيرية والرحمة التي يجب أن يتميز بها المجتمع المسلم – والحمد لله –.

ثم ختمت الدكتورة بحثها بكلمات فيها مواعظ وعبر،فقالت: (ولنذكر أننا في إدبار، والموت في إقبال، وسويعات العمر تتساب منا، وسنبقى وجهاً لوجه أمام ما قدمناه من عمل، وما تفوهنا به من قول قد يتعلق به فعل إما يعين على حق، أو يدفع إلى الباطل، فلتحذر اليوم الذي لا يوم بعده.

وإني أقول: هذا غيض من فيض من تراث الدكتورة/ عبلة الكحلاوي التي أسهمت بجهود بناءة في إثراء المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من المؤلفات والبحوث البديعة.

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مقدرتها وكفايتها في ميدا ن الفكر والثقافة.

هذا وقد كتبت مقالات رائعة في حقل الصحافة والإعلام، ومن بديع ما كتبت في هذا المجال مقالاً بعنوان: (**الإسلام يعيد الرشد للأسرة ... كيف؟**).

أبدعت فيه وتفننت وكتبته بأسلوب أدبي رائع، رأيت من المفيد أن أنقله للقارئ هنا لتتم الاستفادة منه، وليحفظ في هذا السجل الرائع.

حيث كتبت تقول: جعل الله محبة الأبناء غرساً أصيلاً لصيقا بنسيج قلوب الآباء ويصور القرآن الكريم الأبوة والبنوة في

آيات عديدة تبارك قدسية العلاقة الرحيمة التي يجب أن تكون بين الأبناء والآباء إلا أننا نلمح شذوذاً من الأبناء والآباء أيضا والصور كثيرة حول هذه القضية تحدثنا الدكتورة / عبلة الكحلاوي عميدة كلية البنات ببور سعيد جامعة الأزهر فتقول:

من تتبع ما يحدث من خلل في العلاقات الإنسانية أؤكد أن غياب الإيمان وما يعززه من تراحم وعاطفة وحب وخير وراء الظواهر الموجعة وأيضا الفهم الخاطئ للدين وتعاليمه مع تقبل بعض المستورد الدخيل على موروثاتنا العقدية والثقافية. ولكي تستقيم أمورنا نتذكر الأبوة اللاهفة دوماً،في قصة نوح يقول تعالى على لسانه " يا بنى أركب معنا ولا تكن من الكافرين" وعندما كاد ولده يشرف على الهلاك قال تعالى على لسانه أيضا" قال رب إن أبني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين" فبرغم العقوق الذي طمس بصيرة الولد فجعله في لجة الموج فقد وقف الأب ملتاعاً محزوناً لم تنسه الأحداث حسرته على ولده، وتمنيه النجاة له وفي قصة موسى يصف القرآن الكريم في أبلغ تعبير وأوجزه حال أم موسى بعد أن ألقته في لجة اليم المظلم فيقول تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [القصص: 10] فهذا هو حال الأبوة

دائماً، وكذلك النبوة فنراها رحيمة فالعلاقة بين الآباء والأبناء باركتها سائر الأديان السماوية والوضعية والأعراف والقوانين.

وأضافت أن وجود أبوة جاحدة في أم تقتل فلذتها أو تتركهم بإرادتها في الطريق نهبا للضياع وكذلك أب يتخلى عن مسئولياته لأجل المال أو الشهوات فإنها أنماط غريبة على المجتمع الإسلامي فهذا المسلسل من صور الجحود والعقوق لا ينبئ إلا عن انتشار الفساد في المجتمع وخلل واضح في مفهوم دور الأم والأب والأبناء أيضا، وما يفعلونه من إلقاء أحد والديهم في دور الإيواء أو المسنين ضاربين بالقيم عرض الحائط غافلين عن تعاليم الدين الذي أمر برعاية وبر الوالدين وهى توجيهات علوية ويقول المصطفى عليه الصلاة والسلام (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم)، ونجد الوعيد إن لم تفلح التذكير فالعاق محروم من رضوان الله ممحوق البركات والعقوق راس قطيعة الرحم إذ الوالدان وسائر الأرحام بعدهما يشملهما النص السماوى يقول تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ ﴾ [محمد: 22] فلا مكان في المجتمع الإسلامي للأفعال اللاإنسانية التي وقعت إثر الصدام بين الأبناء والآباء الذي لا مبرر له إلا غياب الدين والتقليد الأعمى للغرب والفردية والأنانية وطغيان المادية، ولابد من أن يعود للأسرة رشدها بمعرفة الحقوق والواجبات التي يجب أن تكون بين الأبناء والآباء.

دورها في خدمة قضايا العالم الإسلامي

إن محاولة المرأة الكتابة والتعبير جزء من محاولة الإنسان للتواصل والوجود ، وقد لعبت المرأة ولا تزال دوراً هاماً في النضال من أجل الحرية والتطور الحضاري، والاجتماعي ودورها المعاصر ليس إلا امتداد لدورها القديم، فنراها تزرع وتحصد وتربى النشء الجديد ، وتقاتل مع الرجل جنباً إلى جنب في حركات التحرر التي تجرى في بعض مناطق وبلدان العالم التي مازالت محرومة من الحرية.

كما خاضت المرأة أعنف المعارك في ميدان الفكر والثقافة وأثبتت وجودها وعبقريتها بلا ريب ولا شك.

والأستاذ الدكتورة/ عبلة الكحلاوي من جيل نسائي حمل على عاتقة عبء الدعوة الإسلامية وتبليغها وتصوير الإسلام في صورته الصحيحة، وتبنى قضايا المرأة المسلمة وما يتعلق بها من قضايا وموضوعات.

وبناء على ذلك فقد لعبت الدكتورة/ عبلة الكحلاوي دوراً مهماً وخطيراً في خدمة قضايا العالم الإسلامي، من حيث آرائها في كتاباتها ، أو صرخاتها في الصحف والمجلات، أو كلامها في الاجتماعات والندوات عن قضايا العالم الإسلامي وأنه يلزم على العالم أن ينظر للأمور بجدية وموضوعية ويعمل بإيجابية على كافة القضايا والقضاء على جميع ما يعترض السلام من عقبات وكوارث.

ومن بديع ما كتبت في هذا المجال مقدمة كتابها" النبوة والأبوة في ضوء القرآن الكريم والسنة" حيث قالت فيما يتعلق بقضية الأطفال المسلمين الذين تعرضوا لعمليات قتل وذبح وتشريد وهم في سن الزهور: ها هم أطفال الضفة الغربية يحتمون بجسور موتاهم الكبار، ويحملون الحجارة ليدفعوا عن أنفسهم الهلاك بعدما اطفئت في أعينهم مصابيح الأمل ، فحملوا الحجارة يرجمون أوزار الكبار وخطاياهم إن الحجر في اليد الصغيرة لا يقتل ولكنه يبنى تلال الكراهية والرفض لكل شئ. أى أمل في غدهم وقد طويت الكراسات على بقع الدم والكلمات الكاذبة المضللة،وجف المداد الأسود، والأحمر في عيدان أقلامهم وأجسادهم النحيلة، فما بقى لهم إلا رجم كل شئ وأى شئ، والأمر لا يتعلق بأطفال فلسطين والخليل وغزة، ولا بأحجار الضفة والجبل فحسب، حيث إن لهم أنصاراً وأصهاراً في كل مكان، فهاهم أطفال البوسنة والهرسك يبحثون في أكوام القمامة عن شربة ماء فتحصدهم الجرزان الكبيرة، بل وتتربص بهم فتئدهم وأداً جماعياً في مخابئهم، ولم يسلم الجرجى من أنياب الذئاب حيث يقتلون على مرأى الصليب الأحمر ومسمعه ، فمن ينصت لصرخاتهم إلا رصاص القناصة، أين المطولات؟ أين الشعارات؟ أين المواثيق الدولية؟ إنهم الآن وعلى مستوى العالم والمستوى المحلي في حاجة ماسة إلى مثل ما أنفق على المؤتمرات والجلسات والوريقات والحقائب بل على القدر اليسير منه، وعجيب أن تقف الدولة الأم لهذه المواثيق مكتوفة الأيدي

بل مبتورة الإصبع أمام أطفال يذبحون جياعاً فلا تحرك ساكناً سوى الشجب.

إن جيلاً كاملاً سقط من حسابات الشعوب والأنظمة في أفريقيا بعد أن وأده التصحر، والجفاف،كما تصحرت القلوب والعقول.

والواقع أن الذي تحرك لنجدة الأطفال في البلدان التي وقع فيها ظلم، واضطهاد إلا القلوب المؤمنة الرحيمة المفعمة بالصدق والحب، والتي آثرت بذل كل نفيس لأجلهم دون ذكر لاسم أو حرفة، ودون أن تستهويه أبواق الدعاية، ومحافل المديح بل يرضيها أن تكون ضمن" فاعل الخير" بل تتحرز من إظهار ذلك أيضا" أهـ

وفي الحقيقة أن الدكتورة/ عبلة الكحلاوي لعبت دوراً فاعلاً في خدمة قضايا العالم الإسلامي، وبذلت جهوداً بناءة في هذا المضمار، ولا تزال تساهم مساهمة فاعلة في دفع عجلة المرأة المسلمة نحو الأمام.

لقائي بالدكتورة/ عبلة الكحلاوي

أول سماعي بهذه الأستاذة الفاضلة كان من خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة حيث كانت في ذلك تلعب دوراً خطيراً في مساندة شعب البوسنة والهرسك حيث كان العدوان الصربي الغاشم، فناقشت القضية وطرحتها على كافة ما تحل فيه من أماكن وعلى مختلف المستويات، وكانت آنذاك نناشد بالتحرك السريع والفعال للمجتمع الدولي لردع العدوان وصده عن ذلك الشعب الأعزل.

ثم بعد ذلك التقيت بها في بعض المحافل والندوات والمؤتمرات، وزادت معرفتي بها نظراً لأنها كانت تدرس للطالبات الألبان في كلية الدراسات الإسلامية والعربية- جامعة الأزهر الشريف.

وتوثقت بيننا العلاقات نظراً لكونها مفكرة إسلامية كبيرة، وتقوم بنشاط واسع في مجالات عديدة، كما أنها تلعب دوراً خطيراً في خدمة قضايا العالم الإسلامي.

وباعتبارنا أناس قد حل بهم البلاء أكثر من مرة في بلاد البلقان، حيث تعرض المسلمون في تلك المنطقة إلى سلسلة من الاعتداءات الوحشية كان لابد من معرفة تلك الشخصية المتميزة لكي تنير لنا الطريق بأشعة معارفها، وترشد الطالبات الألبان

للطريق القويم، والمنهج الأمثل في تلقى العلوم وتعلم الإسلام ومبادئه السمحة.

وعندما التقيت بها وجدتها شخصية علمية فكرية متميزة في أسلوبها، ومنهجها وطريقها،على ثقافة عالية، وخبرة ودراية بأمور تستعصى على الرجال.

كما أنني وجدتها ذات قلب رحيم، تئن لما يحدث للعالم الإسلامي من نكبات واعتداءات ذات حس مرهف، تعطف على المسلمين، وتسعى في قضاء حوائجهم، لم تتعلل مرة، أو تتخاذل عن نصرة المسلمين، بل أخذت على عاتقها حملة تنوير المرأة المسلمة، وإرشادها بشتى الوسائل، فهى مثال للمرأة المفكرة الطيبة، التي تعمل بجد واجتهاد ليلاً ونهاراً في سبيل رفعة الإسلام والمسلمين.

ولا يسعنى في هذا المقام إلا أن أقول: إنها شخصية لا تنسى وينبغى العناية بها، ووضع الإمكانات اللازمة لها، للمزيد من العطاء، فجزاها الله عن الإسلام والمسلمين، وطلاب العلم خير الجزاء.

كتابات علمية وإبداعات ثقافية للدكتورة/ عبلة الكحلاوي

إن الدكتورة/ عبلة الكحلاوي حياتها العلمية والفكرية مليئة بالنشاط والتقدم، حيث تدرجت في مناصب علمية عديدة، وهى في ظل ذلك تترقى في معلوماتها وأبحاثها من الأعلى إلى الأعلى، وتزداد نشاطاً في تحصيل العلوم والمزيد من الفكر الحر، والوصول إلى درجة عليا من التحقيق.

وبناء على ذلك جاءت كتاباتها وإبداعاتها الثقافية في غاية التحقيق والإتقان سواء أكانت ثقافية أم أكاديمية، مما يدل على علو كعبها في مجال الفكر والفقه الإسلامي.

وليس هذا كلاماً نقوله دون معتمد أو سند، وإنما الآثار شاهدة، فمؤلفاتها على الساحة ينهل منهما كل مسلم ومسلمة متعطش إلى المعرفة والثقافة.

إن الأستاذة الدكتورة/ عبلة الكحلاوي موسوعة خصبة في الفكر والثقافة، وقد بذلت جهوداً مضنية، وأسهمت إسهاماً بناء في سبيل الوصول إلى نتاج علمي يفيد الأمة الإسلامية على مر الأيام والسنين.

والدكتورة لم تكن في كتاباتها إمعة تقول وتردد ما قاله من قبلها، وإنما كانت تحلل وتناقش وتحاور وتبدى ما يتلجلج في صدرها بأسلوب علمي دقيق، وتثير القضايا النافعة وتحقق القول فيها

بموضوعية وواقعية، وقد لعبت بذلك دوراً فاعلاً في حقل الفكر والثقافة، وقامت بتنوير المرأة المسلمة في مجالات عديدة.

وفي بعض بحوثها القيمة دعت رفاق الإنسانية إلى قراءة متأنية في منظومة القيم الإسلامية التي هي جوهر دعوى الأنبياء جميعاً بعيداً عن أباطيل التمايز والفوقية والنظرة الشوهاء، بعيداً عن تية الحقد والكراهية ، بعيداً عمن رفعوا راية الإسلام ستاراً لمآرب أخر، بعيداً عمن تمذهبوا وتطرفوا وتكسبوا، بعيداً عمن قهرهم البطش والظلم.

وهي بذلك تدعو غير المسلمين إلى التأني في الحكم على الإسلام، ومبادئه السمحة بعيداً عن الذين يدعون الإسلام وهم أبعد البشر عنه.

ولما كانت بحوثها وكتاباتها في غاية الأهمية، وموضوعاتها في غاية الإفادة، آثرت أن أنقل للقارئ الكريم بعض النماذج من كتاباتها الإبداعية، ليتبين للقارئ مدى عبقريتها وتفننها في مجال الكتابة وبحث الموضوعات.

والنماذج التي أريد نقلها تتمل في يلي:

مؤتمر السلام بين الأديان
سماحة الإسلام

قالت : الحسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. هذه تحية الإسلام نقطة البدء، وجوهر المعنى ورمز الالتقاء وإشارة المنتهى، فالإسلام والسلام كلمتان مشتقتان من مادة واحدة في الأصل، إنها دعوة للحب والسلام والتسامح إنها ميثاق بين الناس ينبذ العداوة والتعصب والبغضاء.

ليتحقق بها السلام مع الحق، السلام مع الخلق ، السلام مع النفس، وفي هذا يقول الرسول الكريم: (**ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**) والسلام من أسماء الله عز وجل يتعبد به وإذا كان السلام في الدنيا هو أغلى ما يحرص عليه المسلم فغن السلام في الآخرة له أيضا مقام فالجنة التي وعد الله بها الصالحين سماها دار السلام، وحيا أحبابه فيها بالسلام وكذلك الملائكة يدخلون على الصالحين فيها يحيونهم بالسلام.

السلام يا رفاقي الذي تدعون إليه الآن في إطار الأعداد للبرنامج العالمي الكوكبي الجديد والذي بمعناه قبلا ضمن أهداف المنظمة العالمية للأمم المتحدة .

دعا إليه الأنبياء قبلا عبر صحفهم المطهرة وأعلنه رسول الإنسانية ضمن منهج التسامى والشفافية والطهر الذي أتمه

الرسول ﷺ الذي أرسل بالرحمة والسلام وصدق الله العظيم حيث قال: (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**).

ذلك السلام الذي عرفته جيداً أنا ورفيقي المسيحية عندما وقفنا سويا في خندق واحد نجابة ما يسمى بالإرهاب في كل صورة والذي لا يفرق بيننا فقد تعايشنا سويا وتجاورنا واقتسمنا اللقمة معاً فقد فقهت رفيقي المؤمنة قول الحق ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:199]

(أحبوا أعداءكم ، باركوا لأعينكم ، آحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم).

بيد أنه راعني من يرى الإسلام والإرهاب وجهان لعملة واحدة، من يرى الظلم حملا وديعا والمظلوم ليثاً مفترساً وهنا قرأت من جديد الإصحاح الرابع من إنجيل متى الذي يقول (**لم تنظر القذى في عين أخيك أما الخشبة في عينك فلا تفطن لها**).

أنني أدعو رفاق الإنسانية إلى قراءة متأنية في منظومة القيم الإسلامية التي هي جوهر دعوى الأنبياء جميعاً بعيداً عن أباطيل التمايز والفوقية، والنظرة الشوهاء. بعيداً عن تية الحقد والكراهية. بعيداً عمن رفعوا راية الإسلام ستار لمآرب آخر، بعيداً عمن تمذهبوا وتطرفوا وتكسبوا، بعيداً عمن قهرهم البطش والظلم.فتوهجت مبصرة الحق أنهم ما فرقوا بين نور ونار فقد أمات اليأس فيهم روح الحياة والأمل فنبشوا قبورهم على كل ثري.

أقول ربما وجدت قارئاً منصفا من الذين يستبقون نحو الفضاء لموضع غصن زيتون وبطاقة حب على صدر كواكبه، من الذين يعبرون الزمن والحدث عبر الإنترنت وعلى حافة الأثير فربما يدرك فداحة الآثم والزور الذي وقع فيه عندما أعلن عداءه للإسلام.

فتأمل يا أخي يا رفيق الإنسانية وجها مشرقاً من جوانب عدة جعلته عن سماحة الإسلام.

واستجلاء للأمر فقد جعلت مقولتي ضمن محاور داعية للنظر والتأمل جاءت على النحو التالي:

المحور الأول

الإسلام يدعو إلى الوحدانية وإلى القيم والمثل العليا

أودع الله سر الخلق في قوله تعالى(كن) لينبثق من هذه الكلمة كون وحياة وخلق الإنسان وهيأة لحمل الأمانة فجاء محاطاً بالكمالات النفسية ممكناً من تسخير ما حوله ففي الإنسان تتوهج نقطة البدء ورمز المنتهى برغم زمانه الموقوت في حياة لا يدوم فيها سوى المؤقت وذلك من خلال قوة العقل الذي يطل به على الكون، وشفرة الإبداع المثلة في النفس هذه البصمة الربانية الراقية إعمالاً لقوله تعالى:﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر: 29] ولكي تستقيم الفطرة أبدا وحتى لا تصيبها آفة النسيان جعل للإنسانية شريعة واحدة تمتد جذورها في حنايا الأرض وفروعها إلى القمة الشاهقة هذه الشريعة لم تتغير بتغير الأنبياء ولم تتبدل باختلاف الأزمنة .

فالوحدانية هي الشفرة الفاعلة المؤثرة ذات القابل المستجيب في العقول والأفئدة.

فالأديان على هذا النحو حلقات متصلة في سلسلة تصل إلى السماء بالأرض لهذا عبر عنها القرآن الكريم بأنها أمة واحدة يقول تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الأنبياء:92].

ثم أذن الحق أن يكنى جوهر الأديان بالإسلام، بهذا لم يك عجباً أن نقرأ قول الحق ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى: 13].

وعلى قدر ما وقر في القلب من إيمان على قدر ما تتجلى أهله النور إحاطة وإرشاداً حول المؤمن فلا نعجب إن رأيناه آمنا على رزقه وعلى حياته بكاملها يقول تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم ﴾ [الأنعام: 82] ، ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر: 27، 30] ، فأين الكراهية والانتقام في قلوب مطمئنة تنعم بالسكينة والرضا وترضى بقدر الله.

ولأن النفس الإنسانية محور اهتمام سائر الرسالات السماوية، ولهذا توالت الوصايا بالخيرية، والبر والرحمة والعدل ورعاية الضعفاء والمعوزين والحق أن النفس البشرية لم تحظ

بالاهتمام والمكانة والتقدير قدر ما حظيت في الشريعة الإسلامية وكفى أنها ذكرت في القرآن الكريم في نحو ثلاثمائة وسبعة وستين موضعا.

المعلوم أن النفس المهيأة للإصلاح أو النفس الصالحة هى القابل المستجيب لكل الضوابط من مأمورات ومحظورات هذا ويأتي التحلى بالخلق الإسلامي في المرتبة الثانية بعد الإيمان بالله، وكفى أن الخالق المدبر منح الرسول الكريم شهادة تكريم ليكون الإسوة للناس جميعاً يقول تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:4]، بل لقد جعل من أسباب بعثته ترسيخ السلوكيات الفاضلة في الجماعة يقول رسول الله ﷺ :(**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) رواه الإمام أحمد حـ 2/ 81.

والخلق الرفيع دليل على كمال المؤمن وتمام إيمانه مصدقاً لقوله ﷺ : (**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**) رواه أحمد حـ 265/2، وقوله كذلك عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس به الجنة؟ قال: (**تقوى الله وحسن الخلق**) أخرجه الترمذي – باب البر حـ 3/ 244.

ثم توالت المعالجات الربانية لانواء النفس بتطهيرها من أثار الذنوب والأثام فعلمنا أن المعصية تطمس الأفئدة وتحرم مرتكبيها من نور العلم، يقول تعالى: (واتقوا الله ويعلكم الله) وأن المعصية تميت القلب وتحرم الرزق يقول المصطفى: (**إن العبد**

ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) وأنها تورث الأسقام والعلل، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: 32].

ثم أمرنا بالتواضع يقول تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص:83] كما أمرنا بالصدق في القول والعمل، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: 119].

كما حثنا على الإيثار وحب الخير.. يقول تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر:9]، وفي الحديث الشريف: (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) رواه مسلم، الإيمان حـ 67/1، وكذلك حثنا على الحياء وجعله من شعب الإيمان، وفي الحديث الشريف: (**الحياء لا يأتي إلا بخير**) رواه مسلم.

كما أمرنا بالتراحم، وتوظيف الرحمة فيما بيننا، ولعظيم أثرها ذكرت في القرآن الكريم في سبع وخمسين موضعاً، وكفى أن المصطفى ﷺ هو الرحمة المهداه. يقول تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ويقول الرسول الكريم: (**الراحمون يرحمهم الرحمن إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**).

ويحث الإسلام على المحبة دوماً، وعلى العفة في القول والفعل، وعلى الإحسان في العمل، إعمالاً لقوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: 26] وقوله أيضا: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: 195].

ثم أمرنا ببر الوالدين ورعاية حقوق الزوجية، وترك لنا دستوراً وافياً في تربية الأبناء، وصلة الأرحام، ومعاملة الغير، وأدب الحوار والاختلاف. ونظم العلاقات بين الإنسان وخالقه، والإنسان وأسرته الصغيرة والكبيرة، وأرشد إلى حسن الجوار دون أن يفرق، ووضع دعائم للحكم لا تتغير بالمتغيرات الزمانية والمكانية كالعدل، والشورى، والمساواة والحرية...

ومن كلماته الخالدة:

قوله ﷺ : (المؤمن إلف ألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف).

قوله ﷺ : (لو تحاب الناس وتعاطوا أسباب المحبة لاستغنوا بها عن العدالة).

قوله ﷺ : (من لانت كلمته وجبت محبته وحسنت احدوثته، وظمئت القلوب إلى لقائه، وتنافست في مودته).

المحور الثاني

الإسلام يدعو إلى التسامح

أ- حقائق ثابتة في جوهر الإسلام:

سأجعل حديثي في هذا المجال من خلال أطر محددة تضع القارئ العزيز أمام شريعة سمحاء، ذات صبغة عالمية، وآفاق ممتدة عبر التاريخ وفوق محنة الماضي، وسطوة الحاضر وغربة المستقبل وذلك من خلال حقائق مؤكدة.

الحقيقة الأولى:

إن من مقومات هذا الدين الإيماني القلبي الذي لا يتأتي بالإجبار أو القهر، ومن هنا كانت حرية العقيدة من سمات الإسلام التي لا مشاحة فيها.

لهذا لم يك عجباً أن يترك أمر اختيار ما وقر في القلوب لصاحب القرار بعدما اكتملت أدواته، وتحررت إرادته... فإذا بنا أمام وصايا سماوية لا حجر فيها على اختياره.

يقول تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[البقرة: 256].

ويقول جل من قائل: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف: 29].

ويقول سبحانه معاتباً رسوله الكريم على شدة حرصه أن يهتدى قومه وأتباعه:﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾[القصص: 56].

وتارة أخرى ينهاه عن استماتته في الدعوى الإيمانية فيقول في محكم التنزيل: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: 99،100] وتارة يضعه أمام حقيقة مهتمة فيقول سبحانه: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ ﴾[الغاشية: 22،21]، ويقول أيضا (فأنما عليك البلاغ وعلينا الحساب).

الحقيقة الثانية: التراحم والتآزر بين الإسلام والمسيحية:

في رحاب الوحدانية وفي ساحة التوجه نحو الخالق المعظم تواءمت الرسالات وتوالت البشارات فبشر الإسلام بنصر أهل الكتاب وتدافع المسلمون يتلون صحفاً مطهرة.

ويأتي التآلف والتآخي بوثيقة سماوية لتضع المؤمن أمام حقيقة ذاهلة فهاهم النصارى يحفظون في قلوبهم رقة ورحمة ورأفة تجعلهم أقرب الود للمسلمين.

يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد: 27].

وها هى مريم أم المسيح عليه السلام جعلها الخالق خير نساء العالمين في قرآن يتلى ويتعبد به ولم ينقص ذلك من شأن المسلمات الفضليات من أمهات المؤمنين.

بل لقبت بإسمها إحدى سور القرآن الكريم، أما من فضل وتكريم بعد ذلك يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران: 42، 43] ، وفي آية أخرى : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم: 12].

ويقول الرسول ﷺ : (**أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والأخرة قال الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيني وبينهم نبي**) قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال العلماء: أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى، وأولاد الأعيان هم الإخوة لأبوين.

ويقول الرسول ﷺ : (**أنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحما**) صحيح مسلم، وفي رواية أخرى: (**أنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها لهم ذمة وصهرا**) ، (**أما**

الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون أم إبراهيم عليه السلام منهم).

ومن وصايا الرسول الكريم بالنصارى: (**من آذى ذمياً فقد آذاني**)، وفي قول آخر: (**من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة**).

ويقول كذلك عليه أفضل الصلوات وأجل التسليم: (**إذا فتحتم مصر فاتخذوا من رجالها أجناداً فإنهم خير أجناد الأرض وهم في رباط إلى يوم القيامة**).

سماحة الإسلام مع اليهود:

ولم يقتصر الأمر على الأقباط وحدهم وإنما ينسحب ذلك على اليهود أيضا... فبرغم ما كان من اليهود منذ مبتدأ الدعوة من مجاهرة بالعداء للدين الجديد إلى إشعال الفتن والدسائس بين طوائف المسلمين.

وأقول برغم ذلك وغيره، إلا أن الإسلام نظر إلى الرسالات السماوية حسبما أنزلت، وعامل أهلها لا باعتبار أفعالهم وخصالهم وتاريخهم ، وإنما باعتبار أنهم أصحاب مهمة.

فلم نعجب عندما عدهم الرسول ﷺ ضمن رعايا الدولة الإسلامية في بواكير عهدها بالمدينة المنورة.

ولم نعجب عندما عقد بينهم المعاهدات والمصالحات، ولم نعجب عندما حكم بينهم بالعدل وساوى بينهم وبين من سواهم.

تحضرني حادثة صغيرة تتبدى من خلالها طبيعة هذا الدين الحنيف، فقد ناصر الرسول ﷺ يهودياً أمناً على مسلم اشتهر بسطوته وقوته، حدث أن سرق رجلاً مسلماً يدعى طعمه الله الأبيرق درعا من أحد جيرانه ثم خبأها عند يهودي وعندما بحث أصحاب الدرع وجدوها في بيت اليهودي فاتهموه بسرقتها، ولم يحفل البعض بما رواه اليهودي من أنها ابن الإبيرق لما له من سطوة وكلمة وعائلة واتجهت القرائن كلها إلى اليهودي، فالدرع عنده وطعمه ينكر.

ثم ذهب قوم طعمه يلتمسون من الرسول ﷺ أن ينصر رجلهم لأنه مسلم ظاهر البراءة وخصمه يهودي ولا ينبغي أن يخذل رجل معروف بإسلامه أمام أخر معروف بيهوديته.

فإذا بالوحى ينزل مبرئا ساحة اليهودي دافعا طعمه وقومه بأنهم من الخائنين المنافقين.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النساء: 105- 107].

ثم توجه إلى عائلة أبيرق الذي ظنوا أن الإسلام عصبية عمياء، وأنه مادام في القضية يهودي فعليه أن يحمل وحده كل وزر

ما دام على ملته فجاء القرآن الكريم معلما وموضحا أنه منهج عدالة وإنصاف للناس كافة.

فيقول جل من قائل: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ ﴾ [النساء:108،109].

ثم بين لنا في آيات تتلى كيف نتعامل معهم بالحسنى، وكيف نحيا سويا ما دمنا في واحة السلام والسكينة، يقول تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة: 8].

وكم زار المصطفى ﷺ جيرانه المرضى من اليهود والنصارى، وكم شاركهم أفراحهم، وكم أهداهم من الأضحية وكم حكم بينهم، وكم مشى في جنائزهم، وكم دعا لهم بل مما يؤثر في ذلك أنه توفي عليه أفضل الصلاة وأجل التسليم ودرعه مرهونة عند يهودي، فهذا دليل دامغ على المعايشة التامة بين المسلمين ومن سواهم من أهل الذمة.

جاء في سنن أبي داود عن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ أذ مرت بنا جنازة فقام لها.

فلما ذهبنا لنحملها إذا هى جنازة يهودي، فقلنا يا رسول الله إنما هى جنازة يهودي. فقال: أن الموت فزع فإذا رأيتم جنازة فقوموا، وكان يدعو في صلاته في جوف الليل (**اللهم إني أشهد أنك أنت لا إله إلا أنت وأن العباد كلهم إخوة**).

ب- فاتحون بسم الله:

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝ ﴾ [النصر].

انطلق المسلمون فاتحين باسم الله، الواحد الأحد فدانت لهم الحضارات والثقافات ولعل من أهم سمات هذا الانتشار السريع، صدق الفاتحين في أداء مهمتهم وتسامحهم واحترامهم لعقائد الآخرين.

لهذا لم نعجب عندما نرى لواء الإسلام خفاقاً عاليا في شمال أفريقيا ومصر بأكملها، بل وتحول هذه المناطق في طواعية ويسر من الحضارة اللاتينية إلى الحضارة العربية الإسلامية بل ازداد التوسع حتى بلغ سردينيا 711 م وبلغ أسبانيا سنة 710- 714.

ووقف العالم أمام الفتوحات الإسلامية ذاهلاً وكأنهم أمام لغز محير، فالمسلمون الذين غزوا العالم الروماني في القرن السابع وأوائل القرن الثامن كانوا أقل عدداً من الجرمات الذين تدفقوا على الإمبراطورية الرومانية من قبل، ومع ذلك أذابتهم الحضارة الرومانية

فتلاشت تلك الشعوب الغازية تماماً، ويسر وما ذلك إلا لأنهم كانوا فاتحين بسم الله ويبنون ولا يهدمون مما جعل هذه الشعوب تدخل طائعة في الدين الجديد الذي جمعهم على الوحدانية.

وصايا الرسول ﷺ وصحابته للجيش عندما يتحرك يقول المصطفى(**أنطلقوا باسم الله وعلى بركة رسوله- لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة، ولا تعلوا واحسنوا إن الله يحب المحسنين إياكم والمثلة ولو الكلب العقور)**.

وعندما فتح مكة ودخلها الرسول ظافراً على رأس عشرة آلاف من أبطاله وجنوده واستسلمت قريش، ووقفت تنتظر حكم الرسول عليهم بعد أن قاومته إحدى وعشرون سنة ما زاد ﷺ وعلى أن قال يا معشر قريش، ماذا تظنون إني فاعل بكم قالوا خيراً : أخ كريم وابن أخ كريم فقال اليوم أقول لكم ما قال أخي يوسف من قبل: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، أذهبوا فأنتم الطلقاء.

ومن وصايا أبي بكر الصديق رضى الله عنه لقائد جيشه (لا تخافوا لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا تقلعوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاه ولا بعيراً إلا لمأكله وسوف تمرون على قوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدقعوهم وما فرغوا أنفسهم له).

ويمكننا أن نجمل بعض ما عرف عن أسباب نجاح هذه الفتوحات:

أولاً: الحالة النفسية والاجتماعية لشعوب هذه البلدان الناجمة عن الحروب المذهبية الدامية منذ عهد لوثيروس إلى القرن الثامن عشر، وما أخذ على الإمبراطورية " دقلديانوس" من أذل المسيحيين، وحاول إبادتهم لدرجة أن أقباط مصر ربطوا تقويمهم القبطي بهذا الاضطهاد الديني الذي حل بهم فقد كانوا يؤدون شعائرهم الدينية تحت الأرض أو في أقبية بعيدين عن أنظار الرومان.

ثانياً: الحالة السياسية والعسكرية التي كانت عليها هذه البلدان، فالمعلوم أن الإمبراطورية الرومانية في الشرق والإمبراطورية الغازية الساسانية، وهما القوتان العظيمتان في ذلك العصر، قد وهنتا بسبب الحروب المستمرة من أجل السيطرة بل أدت الصراعات الداخلية في أسبانيا أيضا إلى الانهيار وخاصة عندما اشتعلت الصراعات الدينية والسياسية.

ثالثا: جاء الإسلام ليجمع بين الطوائف الموحدة أى التي رفضت تعريف الثالوث كما تمت صياغته في نيقيا والتي ترى في المسيح نبيا، وترفض أن تسمى مريم أم الله.

رابعاً: جاء الإسلام بصيغته الحضارية حيث لم يأخذ شكل الغازي أو المستعمر،لهذا لم نعجب من مقولة المستشرق " دوزى رينات" 1820-1883 الهولندي" في كتابه" تاريخ مسلمى أسبانيا" (أن

الفتح العربي كان خيراً لأسبانيا فقد نتج عن هذا الفتح ثورة اجتماعية هامة فاخفت جزءاً كبيراً من الآلام كانت تئن تحتها البلاد منذ قرون.

فقد قام المسلمون بالتخفيف من أعباء الضرائب، ثم قاموا بنزع الأرض من الأغنياء التي كانت مقسمة على شكل اقطاعات واسعة بين الفرسان، والتي كان يقوم بزراعتها ارقاء وعبيد مستاؤون، وتم توزيع هذه الأراضي بالتساوى على الذين يعملون بها، أما المالكون الجدد لهذه الاقطاعات فقد اشتغلوا بها وهم في قمة الحماسة والرضا، كذلك تخلصت التجارة من الضرائب الثقيلة فتطورت وتقدمت.

ومما أثلج صدورهم أيضا من الفتح أن القرآن أباح للعبيد فرصة لعتق أنفسهم بدفع تعويض منصف، كل هذا وغيره أوجد حالة من رغد العيش.

خامساً: عنى الإسلام بالحرية الدينية والاجتماعية في آن واحد ولم يؤثر أن أكره أحد على الدخول في الدين الجديد.

فمما لا شك فيه أن روح التسامي والتسامح التي عرف بها العرب والتي لا يوجد لها نظير في الشرق أو في الغرب في العصور الوسطى كان لها أثرها الفعال في الدخول طواعية في هذا الدين الجديد، فالمسلمون لم يفرقوا في نشاطهم الحضاري بين المسلمين وغير

المسلمين بل سمحوا لليهود والنصارى بدراسة المعارف الإسلامية وترجمتها مما ساعد على نهضة أوروبا في العصور الوسطى.

ج- لهم مالنا وعليهم ما علينا:

الإسلام وضع ضوابط المعايشة منذ بدأ يعاشر غيره ، تلك الضوابط التي تقوم على احترام إنسانية الإنسان ورعاية حسن الجوار احترام المخالف له في المعتقد والأعراف إذا لم يفرض عليه عقيدة فقد سبق أمر علوى مؤداه ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: 256] بل وضع قاعدة ثابتة لا تتغير تنبئ عن المساواة الفعلية في الحقوق والواجبات هذه القاعدة تقول: (**لهم ما لنا وعليهم ما عليها**) فلا يظلم إنسان ولا يضطهد ولا تسلب حريته ولا يفرق بينه وبين إخوانه لدين أو لون أو عرق فالكل سواء تحت راية التوحيد.

لهذا يؤكد القرآن على احترام حق الإنسان في الحياة أيا كان دينه وجنسه ولونه يقول تعالى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: 32] مما يذكر من ذلك أن رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الكتاب فلما رفع الأمر إلى الرسول ﷺ قال: (**أنا أحق من وفى بذمته ثم أمر بقتله**) أي المسلم.

كما ترى الإسلام أهل الأديان، وما يدينون ولدينا بعض المأثورات في هذا الصدد أعمالاً لقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

[الكافرون: 6] وجاءت امرأة نصرانية إلى عمر بن الخطاب. فقال لها: (اسلمي تسلمي أن الله بعث محمداً بالحق، قالت: أنا عجوز كبير والموت إلى أقرب فقضى لها حاجتها، ولكنه خاف أن يكون في طلبه لها اكراه على الدخول في الإسلام فاستغفر الله مما فعل.

وقال: (اللهم إني أرشدت ولم أكره).

أثر أيضا أنه ثار جدل كبير بين فقهاء المسلمين حول الزوج المسلم في مناقشته زوجته الكتابية في مسألة إسلامها، وقد رأى الإمام الشافعي أنه لا يحق للرجل أن يفاتح زوجته في هذا الأمر، ولا يعرض عليها الإسلام لأن فيه تعرضاً لهم.

بل أن بعض الفقهاء يرى أنه لا يجوز للزوج أن يمنع زوجته الكتابية من أداء عباداتها وشعائرها ، بل أن بعض الفقهاء يرى ضرورة اصطحابها إلى حيث تؤدى هذه العبادات في الكنسية أو البيعة إن شاء.

في الوقت الذي يأتي البعض أن يحيا المسلمون بينهم ولا في ديار قصية عنهم.

استطاع الخليفة العادل عمر بن الخطاب الذي وعى النص القرآني وامتزجت نفسه بروح هذا الدين أن يضع غراساً يتطاول إلى عنان السماء ليكون للقادة نبراساً يحتذى ، فقد صان الحريات، واحترم العقائد والملل، وما دون عنه أكثر من أن يحصى أو يعد من ذلك على سبيل المثال لا الحصر أنه عندما كان ببيت المقدس وأذن

المؤذن لصلاة خرج توا من الكنسية لأخذها، ولما سأله البطريرك عن ذلك قال: لو صليت داخل الكنسية وصلى خارجها المسلمون من بعد لقالوا ها هنا صلى عمر، ثم كتب كتاباً يوصي فيه المسلمين إلا يصلى أحد منهم على الدرجة إلا واحداً غير مجتمعين للصلاة فيها ولا مؤذنين عليها وذلك احتراماً لمشاعر وعقيدة النصارى.

ومما روى عن رحمته ما دونه أبو يوسف في كتاب الخراج أن عمر مر على قوم قد أقيموا في الشمس في بعض أرض الشام فقال: ما شأن هؤلاء؟ فقيل له: إنهم أقيموا في الجزية، فكره ذلك وقال: هم وما يعتذرون به، قالوا: يقولون لا نجد. قال: دعوهم لا تكلفوهم ما لا يطيقون، ثم أمر بهم فخلى سبيلهم.

ومما روى أيضا عن عمر الخليفة الملهم، أنه مر بباب قوم وعليه سائل يسال وكان شيخاً ضريراً فضرب عمر عضده، وقال له من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، قال: فما ألجاك إلى ما أرى؟ قال أسال الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله واعطاه مما وجد، ثم أرسل به إلى خازن بيت المال وقال انظر هذا وأمثاله فوالله ما انصفناه إذا اكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ثم وضع عنه الجزية.

ومن المواثيق والمعاهدات التي تركت أثرها الطيب في أذهان كل من أهل ايليا المعاهدة التي أمضاها عمر بن الخطاب مع رسل " سفرنيوس" اسقف بيت المقدس، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، فقد أعطاهم أمنا لأنفسهم ولأموالهم ولكنائسهم ولصلبانهم ولسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا تنقص منها ولا من غيرها، ولا من صليبهم، ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، معهم وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما أعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلى بيعهم وصلبانهم فإنهم آمنون على بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم.

إلى أن قال: وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية؟ .

وختم عمر الكتاب بتوقيعه وشهد عليه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان.

ومن عدل عمر بن الخطاب الذي يسجل في صحيفته الناصعة قصة الصبى القبطي الذي شكا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من اعتداء ابن عمرو بن العاص عليه بالضرب فأصر عمر على أن يقتص القبطي من ابن عمرو قائلاً له: أضرب ابن الأكرمين ، ثم وجه اللوم لعمرو بن العاص في عبارة خالدة تتوارثها الأجيال بفخر وإعزاز: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار؟).

ومن صور عدله أيضا أن امرأة قبطية شكت إلى الخليفة عمر من أن عماله في مصر هدموا منزلها من أجل بناء مسجد، وعندما استفسر الخليفة من عمرو بن العاص عن خبرها، قال له : أردنا أن نوسع مسجداً وأعطيناها تعويضاً عن مسكنها، فرد عمر الخليفة العادل: لكن المرأة لم تقبل، ثم قال: كيف تقيمون مسجداً على حساب حق الآخرين؟ وأمر بإعادة الأرض وبناء منزل المرأة من بيت المال.

ولم يبرح دار الدنيا إلا تاركاً وصيته التي يوصى فيها بأهل الذمة، روى يحيى بن آدم أن عمر لما تدانى أجله أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله: (أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيراً وأن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وإلا يكلفهم فوق طاقتهم).

سار الإمام علي بن أبى طالب على منهج سلفه فكتب إلى مالك الاشتر الذي ولاه مصر بعد مقتل محمد بن أبي بكر، واشعر

قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

لقد أوجب الإسلام على المسلمين الدفاع عن دور العبادة حتى لغير المسلمين يقول تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج:40] وما ذلك إلا دفاعاً عن حرية العقيدة.

ومن صور التكامل والعدل ما كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق وكانوا من النصارى فيما يطلق عليه عقد الذمة (جعلت لهم إيما شيخ ضعف عن العمل وأصابته أفه من الآفات، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعيل من بيت المال هو وعياله) وكان ذلك في عهد أبي بكر، وحضرة عدد كبير من الحابة ولم ينكر على أحد) فعد إجماعا يعمل به.

ومن وصايا الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه قوله:

- لا تقتلن من أهل الذمة فيقلبك الله على وجهك في النار.

ومن الدلالة الدامغة على حسن معاملة الحكومات الإسلامية لأهل الذمة ما جاء في أوراق البردى اليونانية المخطوطة في المتحف البريطاني، وعلى الرغم من فساد قسم منها إلا أنه ذكر فيما ما يلي: خوفاً من الله وحفظاً للعدالة والحق في توزيع القدر المفروض عليهم- بياض- رتب ناظرا يعاونه أربعة من البارزين في كورتيك لمساعدتهم في جمع الضريبة، ثم جاء... لا تجعلنا نعرف إنك

كم قد خدمت البارزين في كورتيك بأي صورة من الصور في مسألة الضريبة التي كلفت بها، وإنك حابيت أو ظلمت أحداً ما فإذا وجدت أنهم عاملوا أحد بلين زائد لمحاباتهم له أو أوثقوا عليه لكراهيتهم له، فإنا سنقتص منهم في أشخاصهم وأملاكهم تنفيذاً للشرع.

فلا نعجب بعد الذي قرأنا أن نقرأ في أخبار النصرانية شهادة البطريرك عيشو يابه الذي تولى منصبه 647-657 إذ كتب يقول: إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون عنهم أنهم ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويقرون قديسينا وقسيسينا ويمدون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا.

ومن ذلك أيضا احترام الإسلام لما يتعاملون به كمطعوم أو مشروب وغيره كالخمر والخنزير، فالمعلوم أن الشريعة الإسلامية أهدرت ماليتها وقيمتها فلا يعد في عرف مالا متقوما يصح تملكه والتعامل به ويحاسب سارقه هذا فضلاً عن حريتهم في العمل والتجارة والكسب.

الإسلام ينظر إلى من عاهدهم من اليهود والنصارى على أنهم قد أصبحوا من الناحية السياسية أو الجنسية المسلمين سواء بسواء فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ومن ثم فهم يقيم نظمه على أساس الاختلاط والمشاركة، فلا نعجب أن رأينا أهل

الذمة يتقلدون أرفع المناصب فمنهم الوزراء والمدراء ورؤساء الدواوين بل مما يؤثر في هذا الصدد، أن أحد الوزراء النصارى واسمه عبدون بن صاعد دخل على القاضى إسماعيل بن اسحاق، فوقف القاضى مرحباً به فأنكر الحضور عليه ذلك. فلما انصرف الوزير قال القاضي: قد علمت إنكاركم أما قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ وهذا الرجل يقضى حوائج المسلمين وهو سفير مؤتمن يستحق الاحترام والتقدير.

الإسلام ارتقى بالإنسانية جمعاء فالفضل للتقوى لا لجنس أو ملة أو لون لهذا ساوى بين معتنقيه جميعاً، فسمح للفرس والروم والترك وسائر الموالى أن يزاحموا العرب بالمناكب في ميادين النشاط العلمي والأدبي والفني، ولم يمض وقت قصير على بزوغ فجر الإسلام إلا وكانت الكثرة الساحقة من الفقهاء والمفسرين والمحدثين من الأعاجم وغيرهم أمثال البخاري ومسلم وأبو حنيفة النعمان وغيرهم، لقد تصدوا للدعوة وبلغوا شأناً عظيماً دون أن يجدوا من يفتش عن أصولهم هل هى عربية أم قرشية؟ هل هى مسلمة أن نصرانية؟

المسيحية بريئة من التعصب:

في إنجيل متى الإصحاح الخامس ما نص(قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل ومن قتل يكون مستوجباً للحكم، ومن قال

لأخـيه، يـا أحمـق يكـون مسـتوجباً نـار جهـنم، وأن كانـت قدمـت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت لأخيك وشيئاً عليك فاترك هناك قـربانك قـدام المذبـح وأذهـب أولاً وأصلـح مـع أخـيك وحينـئذ تعـالى وقدم قربانك..

كن مراضياً لخصمك سريعاً مـا دمـت معه في الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضي ويسلمك القاضي إلى الشرطة فتلقى في السـجن، والحـق أقـول لـك: لا تخـرج مـن هـناك حـتى توفـى الفلـس الأخـير، ثـم يقـول في هـذا الإصـحاح أيضـا: سمعـتم أنـه قـيل: العـين بـالعين والسـن بـالسن أمـا أنـا فـأقول لكـم: لا تـقـاوموا الشر، من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضـا، ومـن سـخرك ميلا فاذهـب معه اثنين ، ومن سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.

سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم ، باركوا لأعينكم ، احسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردنكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات.

ثـم يقـول في الإصـحاح السـادس: (إن غفـرتم للنـاس زلاتهـم يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم).

الحـق أن الأقليـات المسيحية واليهودية عاشت بينـنا ولم تخـل دار في معظـم الـبلدان الإسـلامية مـن جـار نصراني بـالذات ولم

تزل بيننا صلات مودة وتراحم وصداقة، وربما تعاملنا مع الطبيب والمهندس والمقاول المسيحي لكفاءته أو لخلقة، ولم نميز في تعاملنا بين مسلم ومسيحي فالكل سواء أمام المجتمع والقانون.

الحق أيضا أن هؤلاء الأقليات عاشوا واستقروا دهورا وحققوا ثروات طائلة في ظل مبادئ الإسلام السمحاء.

ولم نقرأ في صحفنا السيارة عن شكوى مغرضة من قيادة نصرانية الآن حاد عن الطريق، وذلك لم استقر في الأذهان من حقائق متوارثة عن مودتهم وصداقاتهم، على عكس ما نرى ونسمع عن الأقليات المسلمة التي تعيش بين المسيحيين فالإبادة أيسر الطرق لتصفيتها ولم تنزل أحداث البوسنة ملء السمع والبصر.

أن المسيح عليه السلام برئ من هذه الدماء الذكية، برئ من هذه الإبادة الجماعية برئ من قتل وذبح الأبرياء في الفلبين، وبورما وتايلندا وسيريلانكا وكشمير وأوغندا وبنجلاديش والبرتغال وأسبانيا وقبرص وجزيرة كريت برئ من الجرائم البشعة التي تمارس ضد الأقليات والتي يندى لها الجبين.

وأن ما يحدث في فلسطين من ظلم وقتل وتعصب وتسلط ضد الأبرياء العزل من النساء والأطفال والمصليين، يثير العجب والتساؤل فمن المقهور ومن المظلوم أهؤلاء الأطفال الذين يرجمون البطش بأحجارهم الصغيرة أم أولئك الذين يذبحونهم ويشردونهم ويهدمون منازلهم على من فيها، لنتدبر ونتأمل ما دمنا نحمل معايير الإنسانية من الظالم؟ ومن المظلوم؟

المحور الثالث

الإسلام يدعو إلى الاعتدال والوسطية وينهى عن التشدد والتطرف بمعناه الحق

أ- الإسلام يدعو إلى الوسطية:

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143].

ويقول تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: 77].

تتسم الشريعة الإسلامية بالوسيطلة في شتى نواحيها بالوسطية بالاعتقاد، الوسطية في التعبد والتنسك، والأخلاق والسلوك، الوسطية في المعاملات.

ويقول المصطفى ﷺ (**ليس بخيركم من ترك دنياه لأخرته، ولا أخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعاً، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة، ولا تكونوا كلا على الناس**).

وجاء في الأثر عن علي بن أبي طالب: أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، وأعمل لأخرتك كأنك تموت غداً، وفي الحديث الشريف أيضا: (**إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى**).

ويقول كذلك: (هلك المتنطعون) قالها ثلاث وفسر الإمام الغزالي المتنطعين بالمتعمقين في البحث والاستقصاء وفسرها النووي رحمه الله بأنهم المتعمقون المتشددون في غير موضع التشدد.

بل نهى عن المغالاة في العبادات، وها هى يقول لمن أخبره أن أمه نذرت أن تحج ماشية فقال ﷺ : (**مرها فلتركب ، أن الله لغني عن مشيها**).

ويقول لمن انذر أن يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال ﷺ : (**مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**).

ويقول لمن تعاهدوا على قيام الليل وصيام النهار واعتزال النساء،فقال لهم ﷺ : (**أما إني لأخشاكم الله واتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس منى**).

ثم يقول المصطفى ﷺ معلناً براءته من كل تعنت باسم الدين: (**أن الله تعالى لم يبعثنى معنتاً ولا متعنتاً ، وإنما بعثني معلماً ميسراً**).

نلخص من ذلك إلى أن الدين الإسلامي الحنيف دين الوسطية لا مغالاة فيه ولا تطرف، وذلك لأن المغالاة تفتح الباب أمام البدع والفتن والشقاق.

ب- الإسلام يدعو إلى التيسير ورفع الحرج:

قال تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج).

ويقول كذلك: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: 185].

ويقول كذلك ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: 28].

ويقول كذلك ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : 286]..

ويقول كذلك ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة : 286].

ويقول كذلك ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: 16].

وفي الحديث الشريف يقول المصطفى : (**إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**) ، ويقول كذلك : (**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**) ويقول كذلك (**عليكم من الأعمال ما تطيقون**) وفي رواية (**خذوا من العبادة من تطيقون فإن الله لا يسأم حتى تسأموا**).

ينبغي أن ندرك أن هذه الشريعة أنزلت لإسعاد الناس في الحياة الدنيا لهذا لم تأمر بمشقة أو بما فيه حرج. فرسول الله ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وذلك حتى تؤدي التكليفات

التعبدية والمتطلبات الشرعية الحياتية تحت مظلة المحبة التي تبلغ درجة الترقي في مدارج السالكين والواصلين دون إجبار أو قهر.

الخلاصة:

نلخص مما سبق أن الإسلام دين فطرة سوية يحقق من خلال شريعة رقية الإنسان المؤهل لكل تقدم حضاري وكل ازدهار.

إنسان يؤمن بالله وبالقيمة الروحية الباعثة على الترقي للخير دوماً.

الإنسان يملك قلباً رحيماً، ونهجاً مستقيماً، ورأيا صائباً فقد أطلقت الشريعة الإسلامية العقل من سجن الهيمنة الفكرية فليس للحرية سقف أو جدران إلا عندما تنتهك حرمات الآخرين.

الإنسان يملك مقومات الأمة فقد فطر على احترام قيادته، وعلى فهم الواجبات الكفائية التعبدية والمأمورات التعبدية، وكفى أن نقرأ ما جاء في الحديث الشريف حول احترام الجماعة، واحترام القيادة ما نصه: (**من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة الجاهلين**) ومن ذلك أيضا : (**من قاتل تحت راية عميقة يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمتى**) ، وأيضا : (**من خرج من أمتى يضرب بريها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى بذى عهدها فليس مني**).

هذه الضوابط الملزمة نستجلى منها بيقين براءة الإسلام من المغالاة والتطرف، هذه الظاهرة التي لم يخل منها مجتمع في العالم إلا أننا موضع رام دوماً للأسف فلو قتلت شاة أو تعثر طائر في أقصى الأرض أو لو روع العالم بالقحط والمجاعة ولو ارتجت الأرض ربما لخرجت علينا صحف العالم تتوعد المسلمين وتتهم الإسلام.

ج- الإرهاب أو الأصولية *Fundament alein* أو التطرف:

الحق أن الأصولية مصطلح عرفته الحضارة الأوروبية كرد فعل لظهور المذهب البروتستانتي الذي ما ظهر إلا لأحداث تغيير جذري في العقيدة النصرانية بيد أن بعض مثقفي أمتنا التقطوه لتمييز من تشددوا أو تمسكوا بسنة رسول الله. ثم صدر إلينا لفظ آخر إلا وهو التطرف بيد أن هذا المصطلح أخفق هو الآخر لأن تساؤلاً ثار: من الذي يحدد المتطرف من غير المتطرف. وهل كل من واظب على الصلوات والتزم بتعاليم الإسلام يعد متطرفاً؟

ثم استقر الأمر على لفظ جديد هو لفظ الإرهاب كترجمة اللفظ *Terrorism* وقد اختير هذا اللفظ ليكون مشتقاً من اللفظ القرآني " ترهبون" في الآية رقم 60 من سورة الأنفال لما في ذلك من إشارة خفية إلى أن استخدام العنف وفرض الرأى للوصول إلى السلطة مبدأ أصيل في القرآن.

والمتأمل للآية الكريمة يجد أن المقصود إعداد القوة قدر الاستطاعة كإجراء وقائي يمنع أعداء الأمة من الاعتداء عليها تجنبا

للحرب، والدليل على ذلك أن الآية التالية تدعو للسلم ولكن سلام من موقع قوة لا من موقع ضعف تقول الآية الكريمة: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾ [الأنفال:60،61].

فإذا دعت ثقافة السلام إلى محاربة الإرهاب فينبغي أولاً أن نحدد معطيات هذه المسميات الوافدة، وعلى من تطلق وهل الإرهابي أو المتطرف أو الأصولي هو الذي يحمل شعار لا إله إلا الله محمد رسول الله فحسب؟ أن هذا يعنى أن أصحاب هذا التوجه قد وضعوا كل المسلمين في قارب واحد وعقدوا العزم على إحراقهم.

فالقول الذي يرى ضرورة امتداد الحرب على الإرهاب حتى تجف منابعه أخالها حرب متقنة يمهد لها إعلامياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً للقضاء على الفكر الإسلامي برمته دون دراسة مدققة تركت عن عمد تفرق بمعايير السواء من المسلم الملتزم ومن المتأسلم المأجور من جهات يعلمها جيداً بعض من على الساحة الآن!!!.

بقى أن نعرف ما معنى الجهاد في الإسلام؟

د- الجهاد المفتري عليه:

أما الجهاد المفترى عليه، والذي انبرى لتعريفه المستشرق (د.ب ماكدونالد) في الموسوعة الإسلامية تلك التي يتعرف العامة والخاصة على المفردات اللفظية من خلالها حيث ذكر ما نصه: (إن الجهاد في الإسلام حمل السلاح لإجبار وإكراه الشعوب غير المسلمة على الدخول في الإسلام، وأن انتشار الإسلام بالسلاح واجب ديني على كل مسلم).

الحق أن ذلك وغيره من البلوى الشائعة في هذا العصر، فكثيراً ما تسمى الأشياء بأضدادها، وقد تصاغ النظريات وتدون الفلسفات بحسب المعنى المشتهى لا المقصود الحقيقي، وأن ترتب على هذه الافتراضات النظرية العارية من الصحة حملات مستعرة، تبلغ درجة التكتل والتحزب السياسي والعسكري بل يعظم الخطر عندما تطمس الحقائق حتى عن أهلها، ولعل ذلك القول ينطبق على معنى الجهاد في الإسلام.

فالجهاد في أبسط تعريف له جانبان: جهاد أكبر، وجهاد أصغر، الجهاد الأصغر، جهاد إحمائي أو دفاعي، وهو جهاد الأعداء وقتالهم حال اعتدائهم على الأمة الإسلامية، وحال اقتحامهم الديار، وانتهاك الحرمات، هنا يصبح واجباً أكيداً وفرضاً متعيناً وهو من مهام الدولة وجيوشها المنظمة، ولا يجوز لأحد كائناً من كان أن يشذ

عن الجماعة بل لا يعد شهيداً لما سبق ذكره من أحاديث شريفة حول من خرج عن جماعة المسلمين وقاتل:

إن ما ذكره الدكتور ماكدونالد عار تماماً من الصحة يعارضه قول الحق: (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) وقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: 256]

أما الجهاد الأكبر فهو الجهاد الداخلي جهاد النفس لمحاربة صراعاتها ورغباتها وتسليم القيادة بكاملها لله تعالى.

وليس تعريف الدكتور ماكدونالد وحده يشكل خطراً معرفياً بل أولئك الذين يطلقون على الإسلام (دين السيف) والذين يستشهدون بأجزاء مبتورة من الآيات ليؤكدوا عنصريتهم.

أن الجهاد المفترى عليه لم يرخص به إلا في مواجهة الذين أقاموا عهداً ثم نقضوه أو الذين يروعون الآمنين، فالقرآن لا يبرر الحرب إلا عندما نقع في دائرة الاعتداء والغزو.

ومن يرد الله به خيراً فليتدبر آيات القرآن الكريم:
﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة: 190].

بل حتى في الجهاد لرد عدوان أو نحوه أمر بحماية النساء والأطفال والشيوخ أين ذلك من حروب الإبادة التي يذهب ضحيتها دوماً العزل؟

إن الدعوة إلى الله تمت بحسن خلق الداعى ورحمته إعمالاً لقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل: 125] لقد استطاع الرسول الكريم بحسن الخلق أن يحيد المبادئ المقروءة إلى حركة ملء السمع والبصر وأن يحول الأفكار إلى واقع، والرسالة إلى رجال، والمنهج إلى جيل يعمل على صبغ الحياة بالعزة والشرف والرجولة.

فكيف بالله بعد ذلك يتهموننا بما نحن منه براء!!!

ومن أقوال مفكريهم أيضا أذكر مايلي:

مقولة برنارد شو: فيقول بعد أن قرأت حياة رسول الإسلام مرات ومرات أصبحت أضعه على رأس قمم الرجال الذين يجب أتباعهم، وقرأت ما كتبه كهنة العصور الوسطى فوجدتهم قد أظهروا الإسلام بشكل لا يمت للحقيقة بصلة فالإسلام جاء ليصبح العالم في حب وسلام.

وأيضا توماس كرليل المصلح الاجتماعي الإنجليزي الشهير والمؤرخ المرموق يقول: (أصبح من العار علينا أن نصغى إلى تلك الاتهامات التي وجهت إلى الإسلام ونبيه وواجبنا أن نحارب هذه الأقوال المخجلة العارية من الصحة).

ثم جوتيه المفكر الفرنسي المعروف في كتابه أخلاق المسلمين وعاداتهم يقول: (التسامح بمعناه الإلهي غرسة رسول الله

في نفوس المسلمين وكانت ولا تزال هذه الصفة إحدى المميزات الراقية لدين الإسلام.)

وكذلك " شاخت" العالم الألماني الذي اشتهر بدراسته للشريعة الإسلامية يقول: (الإسلام هو النهاية الحتمية للمادية).

وغاندي : (درست الإسلام وعرفت من خلاله قيمة الإنسان وحقوقه).

هـ - لا إكراه في الدين:

ونضع البراهين الواحد بعد الآخر في سلسلة من آيات القرآن الكريم أعيدها مراراً ، ثم في سلسلة من أحداث التاريخ بحيث لا يبقى للشك مجال.

فأما عن القرآن فهناك قوله تعالى:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ [البقرة: 256].

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: 125].

﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: 29].

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝ ﴾ [الكافرون: 6].

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝ ﴾ [الرعد: 40]

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ ﴾ [الغاشية: 21،22].

أما سلسلة التاريخ فرأينا بوضوح أن الإسلام سلك طريقة بالدعوة متبعاً هذه الآيات البينات وإليك بيان ذلك.

[1] حينما كان الرسول في مكة وحينما بدأ دعوته وحيداً لا سلاح معه ولا مال، دخلها مجموعة من عظماء الرجال من أمثال السادة أبي بكر وعثمان وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير ثم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب فهل يمكن أن نقول إن هؤلاء دخلوا بالقوة؟ وأين القوة في ذلك الوقت؟ وعن مسلمي مكة يقول الأستاذ العقاد: إن كثيرين من الناس لم يخضعوا للسيف ليسلموا ، ولكنهم تعرضوا للسيف لأنهم أسلموا واحتملوا السيف في سبيل الله.

[2] واضطهدت قريش المسلمين اضطهاداً قاسياً، وأنزلت بسيدنا محمد وأتباعه الواناً من العذاب ، وفي وسط هذا العناء حينما كان سيدنا محمد والمسلمون معه بمكة مغلوبين على أمرهم مستضعفين كان أهل المدينة يسعون للإسلام ويعتنقونه ويدعون له ذويهم وأهليهم، فهل يمكن أن نقول أن الإسلام انتشر بالقوة بين سكان المدينة؟

[3] ويحدثنا التاريخ بصراحة ووضوح إن أهم فترة انتشر فيها الإسلام هى فترة السلم الذي تلا صلح الحديبية بين قريش والمسلمين، وكانت فترة السلم سنتين، ويقول المؤرخون أن من دخل الإسلام في خلال هاتين السنتين أكثر ممن دخلوه في المدة التي تقرب

من عشرين عاماً منذ بدء الإسلام حتى هذا الصلح، وهذا يدلنا على أن انتشار الإسلام تبع السلم ولم يتبع الحرب.

[4] ثم أنه لا علاقة بين انتشار الإسلام وبين حروب المسلمين مع الفرس والروم فقد كانت الحروب تشتعل وكان المسلمون ينتصرون ثم تتوقف الحروب وتتوالى السيوف وحينئذ يتقدم الدعاة والمعلمون فيشرحون نظم الإسلام ومبادئه وفلسفاته وكانت هذه الدعوة السمحة تجذب لها الناس وبخاصة عندما رأت الشعوب المغلوبة الفرق الكبير بين حكم قيصر وطغيانه وبين سلطة عمر بن الخطاب وسماحته وتواضعه وبالدعوة دخل الناس أفواجاً في الدين الجديد فمنهم من أسرع في الدخول ومنهم من دخل بعد عام أو خمسة أعوام أو عشرة أو مائة.

[5] في القرن السابع الهجري هاجم المغول الجانب الشرقي من العالم الإسلامي وكان هجومهم وحشياً قاسياً مدمراً سفكوا الدماء فسالت أنهاراً وحطموا مظاهر الحضارة الإسلامية وهدموا القصور والمساجد وأحرقوا الكتب وقتلوا العلماء وامتدت أيديهم إلى الخليفة فقتلوه وقتلوا معه أهله وأزالوا الخلافة العباسية سنة 565 هـ وأصبحت للمغول اليد العليا وهوت أمامهم كل قوى المسلمين في عاصمة الخلافة وما حولها وسرعان ما جذب الإسلام إليه هؤلاء الفاتحين الغزاة فدخل المغول الدين الذي هاجموه وعملوا على تقويضه فهل يمكن أن نقول إن الإسلام انتشر بين المغول بالقوة؟

يقول سير توماس أرنولد في ذلك: (لا يعرف الإسلام من بين ما نزل به من خطوب وويلات خطبا أعنف قسوة من غزوات المغول فلقد انسابت جيوش جنكيز خان واكتسحت في طريقها العواصم الإسلامية وقضت على ما كان بها من مدينه وحضارة على أن الإسلام لم يلبث أن نهض من رقدته وظهر من بين الأطلال واستطاع بواسطة دعاته أن يجذب أولئك الفاتحين البرابرة ويحملهم على إعتناقه).

[6] جاء الصليبيون إلى الشرق أبان ضعف الخلافة العباسية لمحو الإسلام والقضاء عليه وإذا بالإسلام يجذب جموعا منهم فيدخلونه ويحاربون في صفوف المسلمين. يقول توماس أرنولد : (لقد أجتذبت الدعوة المحمدية إلى أحضانها من الصليبين عدداً كبيراً حتى في العهد الأول أى في القرن الثاني عشر ولم يقتصر ذلك على النصارى بل إن بعضهم أمرائهم وقادتهم انضموا أيضا إلى المسلمين حتى في ساعات انتصارات المسيحيين).

ويروى توماس أرنولد عن بعض مؤرخى النصارى قوله: (إن ستة من أمراء مملكة القدس استولى عليهم الشيطان ليلة معركة حطين، فاسلموا وانضموا إلى صفوف الأعداء دون أن يقهروا من أحد على ذلك ويعلل توماس أرنولد انتشار الإسلام بين الصليبيين بقوله: ويظهر أن أخلاق صلاح الدين وحياته التي انطوت على البطولة قد أحدثت في أذهان المسيحيين في عصره تأثيراً سحرياً

خاصاً حتى أن نفرا من فرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم إلــيه أن هجــروا ديانــتهم المســيحية وهجــروا قومهــم وانضــموا إلى المسلمين.

وهناك وثيقة تاريخية تصف فظائع الصليبيين في القدس، كتبها المؤرخ الراهبى روبرت وفيها يقول: (كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وأسطح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبوءات التي خطفت صغارها وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعونهم أرباً أرباً، وكانوا لا يستبقون إنساناً، وكانوا يشنقون إناساً كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، فيا للعجب ويا للغرابة أن ت>بح تلك الجماعة الكبيرة المسلحة بامضى سلاح من غير أن تقاوم، وكان قومنا يقبضون على كل شئ يجدونه فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعاً ذهبية، ، فيا للشرة وحب الذهب ، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث، فيا لتلك الشعوب العمى المعدة للقتل، ولم يكن بين تلك الجماعة الكبرى واحد ليرضى بالنصرانية ديناً، ثم احضر(بوهيموند) جميع الذين اعتقلهم في برج القصر،وأمر بضرب رقاب عجائزهم وشيوخهم وضعافهم وبسوق فتيانهم وكهولهم إلى إنطاكية لكي يباعوا فيها.

فماذا فعل المسلمون حين استردوا بيت المقدس على يد صلاح الدين؟

كان في القدس حينما إستعادها صلاح الدين (583) من الصليبيين مائة ألف صليبي، منهم ستون ألف رجل وفارس، سوى

من تبعهم من النساء والأطفال، فأبقى صلاح الدين على حياتهم، واستوصى بهم خيراً، ونابذ فقهاءه فيما ارتؤه من معاملته بمثل ما عامل به أجداده الصليبين جمهور المسلمين يوم فتحهم القدس، واكتفى بأن ضرب فدية عادلة ، وعجز بعضهم عن دفع الفدية، فأدى الملك العادل أخو صلاح الدين عن ألف صليبي، واقتضى به صلاح الدين نفسه فأعفى كثيرين من الفدية، واغضى عن جواهر الصليبين و>هبهم وفضتهم، وعامل نساء الأفرنج معاملة كريمة، وسهل السبيل لخروج ملكتين بما معهما من جواهر وأموال خدم، ورخص للبطريرك الأكبر أن يسير آمنا بأموال البيع والجوامع التي غنمها الصليبيون في فتوحهم، وعندما قال المسلمون لصلاح الدين أن هذا البطريرك يقوى بما أخ> على حرب المسلمين ثانية قال: لا أغدر به.

ولما عقد الصلح بين المسلمين والصليبين دخل نفر عظيم من الأفرنج إلى القدس فأكرمهم صلاح الدين وقدم لهم الأطعمة وباسطهم فألقى صلاح الدين على الصليبين درساً في مكارم الأخلاق وسماحة الإسلام.

[7] وانتشر الإسلام انتشاراً واسعاً في إندونيسيا ومالزيا وفي أفريقيا، فما القوى التي نشرته في هذه البلاد الفسيحة وجذبت له قلوب الملايين؟

إنها قوة هائلة جبارة نعم تلك هى القوى الذاتية للإسلام بما فيه من عقيدة سامية وتشريع رفيع وأخلاق عظيمة ولا يكاد

يوجد شخص عرف الإسلام معرفة حقيقية ثم تخلف عن ركب المؤمنين لكننا نعترف للأسف أن حالة بعض المسلمين السياسية والاقتصادية والأخلاقية تلعب دوراً ضد نشر الإسلام فبعض المتعجلين يظنون أن المسلمين في العصر الحاضر يعكسون حقيقة الإسلام، والحق أن كثيرين من المسلمين يتبعون الإسلام اسماً ويجهلونه سلوكاً، ولو عاد المسلمون إلى دينهم ونفذوا تعاليمه لكانوا قدوتاً وتناسوا خلافاتهم، لكان لهم شأن أخر.

وقد سارت الأجيال الإسلامية بدء من الرسول ﷺ وصحابته والتابعين والعلماء والصوفيين، تخدم هذا الغرض السامي لتنير للبشرية حياتها، ولتجمعها حول إله واحد وحول الدستور القرآني المقدس.

و- الإسلام ضد الحرب:

أن القاعدة الأولى في الإسلام هى اعتبار الناس جميعاً اخوة، وأن المسلم هو الأساس والقاعدة، والحرب ليس إلا علاج لحالة شاذة وإذا حافظ غير المسلمين على السلم فهم والمسلمون أخوان في الإنسانية، يتعاونون على خيرها العام ولكل دين يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، دون أضرار لأحد أو إنقاص لحق أحد – يحذر:

أ- أن تكون الحرب إذا وقعت حرب تنكيل أو تخريب.

ب- ولا يبيح للدخول في الحرب إلا بعد إعلانها بمدة كافية لوصول خبرها إلى العدو.

ج- ولا يبيح ثالثاً إساءة معاملة الأسرى ولا التنكيل بهم.

د- ثم هو رابعاً لا يرى توقف إنهاء الحرب على أن يسلم المحاربون ويدخلوا في الإسلام، بل يكفي أن يكفوا شرهم، وأن يتعهدوا بوقف الشر، وما دام السلم هو الأصل فإن الإسلام يرحب بالمعاهدات التي تحافظ على السلم وتمنع أسباب القتال والحرب، إذا توفرت فيها شروط ثلاث:

أول هذه الشروط:

ألا تسئ هذه المعاهدة إلى الإسلام وشريعته العامة التي بها قوام الشخصية الإسلامية، وقد أثر عن النبي ﷺ أنه قال: (كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، أي يرفضه الله ويأباه، ولهذا لا يعترف الإسلام بشريعة معاهدة تستباح بها الشخصية الإسلامية وتفتح للعداء باباً يمكنهم من الإغارة على الأمة الإسلامية أو يضعف من شأن المسلمين.

وثاني هذه الشروط:

أن تكون مبنية على التراضي بين الجانبين، ومن هنا لا يرى الإسلام قيمة للمعاهدة التي تنشأ على أساس من القهر والغلبة.

وثالث هذه الشروط:

أن تكون هذه المعاهدة واضحة الأهداف واضحة المعالم تحدد الالتزامات والحقوق تحديداً لا يدع مجالاً للتأويل والعبث بالألفاظ، وما أصيبت معاهدات الديون التي تزعم أنها تسعى إلى

السلم بالأخفاق والفشل وكانت سبباً في النكبات العالمية إلا عن هذا الطريق طريق الغموض والألتواء.

ولعل اظهر مثل لذلك في الوقت الحاضر قرار مجلس الأمن رقم 242 الذي يطالب بالإنسحاب من الأراضى العربية المحتلة، وهل الانسحاب من أرض محتلة *From occupied Terrtories* أو من الأرضى المحتلة *From occupied Terrtories* أن حرف" الـ " أو حرف" The " خلق مشكلات كثيرة لا تزال قائمة، وجعل السلام أملاً بعيداً حتى هذه اللحظة.

الخاتمة

من خلال هذا العرض لموضوعات هذا الكتاب نستخلص ما يلي من نتائج:

أولاً: أن دراسة الفكر والمفكرين أمر له أهميته ومكانته في عصرنا الحاضر.

ثانياً: أن الفكر الإسلامي يلعب دوراً مهماً في عملية التقدم الحضاري والاجتماعي بل على كافة المستويات وفي كافة المجالات.

ثالثاً: دور المرأة المهم في حقل الفكر والثقافة.

رابعاً: أن الدكتورة/ عبلة الكحلاوي تعتبر رائدة من رواد الفكر الإسلامي النسائي.

خامساً: أن الدكتورة/ عبلة الكحلاوي قد أثرت المكتبة العربية والإسلامية بتراث علمي ضخم، ونتاج فكري فخم، مما يدل على رسوخ قدمها في التأليف والتصنيف.

سادساً: أنها قد نالت من المؤهلات العلمية والدرجات الوظيفية ما يجعلها رائدة في مجال الفكر على المستوى العالمي.

سابعاً: أن أسلوبها متميز في الكتابة، وتحلت مصنفاتها بالإبداع والابتكار.

ثامناً: أن مقالاتها مؤثرة تثير في النفس الشجون، وتبعث على الأمل نحو حياة أفضل.

تاسعاً: أنها قد أسهمت بل تعتبر رائدة بحق في مجال خدمة قضايا المرأة المسلمة، وقد عالجت في بحوثها الكثير من المشكلات التي تتعلق بالمرأة، وحقوقها ومكانتها ودورها في المجتمع الذي تعيش فيه.

عاشراً: أنها عضو فاعل في مجالات عديدة، ومشاركاتها العلمية ومؤتمراتها الثقافية تشهد بتفوقها وأخذها بزمام الأمور.

حادي عشر: أنها قد أسهمت بجهود بناءة في خدمة قضايا العالم الإسلامي، وهي في ذلك لا تكل ولا تمل بل تعمل بهمة ونشاط.

ثاني عشر: أنها شخصية نسائية عظيمة، ومفكرة ضاربة بقدم راسخة في ميدان الفكر والثقافة، مما يدفعنا إلى القول بأنها تحتل مكانة عظيمة في مجتمعنا الذي نعيش فيه، كما أنها تعد مثالاً للمرأة العالمة العاملة التي تخوض غمار البحث ومواجهة المشكلات والتقلب في التحديات والعقبات.



المؤلف في سطور

هو : فضيلة الشيخ / بكر إسماعيل

Beqir Ismaili

من مواليد شهر أكتوبر 1959/10/04م.

المولد : جمهورية كوسوفا *Kosova*

[إحدى دول منطقة البلقان]

حياته ... ومؤهلاته العلمية :

تلقى الشيخ / بكر إسماعيل تعليمه الأساسي في كوسوفا، وقضى مرحلة التعليم الثانوي في سوريا، وأنهى مرحلة التعليم الجامعي والعالي في رحاب الأزهر الشريف بمصر.

الوظائف التي شغلها ... والأعمال التي قام بها:

يعد المؤلف عضواً فعالاً وشخصيةً بارزة في العديد من المجالات العلمية و الإعلامية، والسياسية، والثقافية، ... ويغطي نشاطه أصعدةً كثيرة داخل كوسوفا، كما يقوم بدور رائد تجاه قضية بلده. في مصر والعالم العربي والإسلامي، وكذلك العالم الغربي. ممثلاً، ومندوباً، وعضواً، ومحاضراً، وباحثاً، ...

وقد شغل المؤلف وظائف عديدة حيوية، من أبرزها وأهمها:

- ممثلاً رسمياً لكوسوفا في مصر.
- ممثلاً للمركز الإعلامي لكوسوفا في الشرق الأوسط .
- ممثلاً للمشيخة الإسلامية لجمهورية ألبانيا بالقاهرة .
- ممثلاً للمشيخة الإسلامية لجمهورية مقدونيا بالقاهرة.
- رئيساً لوكالة ألبا برس *Alba Press* بالقاهرة .
- مندوباً لبعض الصحف والمجلات والوكالات الإعلامية في جمهورية ألبانيا، كوسوفا، مقدونيا، البوسنة والهرسك.
- له دور فعال في ربط العلاقات الثقافية والدينية فيما بين الدول الإسلامية ومسلمي البلقان .
- له نشاطٌ واسع تجاه قضايا منطقة البلقان،وبخاصة ما يتعلق منها بدولة كوسوفا، ألبانيا، مقدونيا .

الأنشطة الثقافية . . . والمؤلفات العلمية:

لقد سخر الشيخ/ بكر إسماعيل وقته وجهده وقلمه من أجل قضايا منطقة البلقان بصفة عامة، وقضايا كوسوفا وطنه بصفة خاصة، وهو في ارتباطه بهذا الواجب والدور الجليل في خدمة قضايا الأمة الإسلامية ... قد ساهم في إبراز قضايا الأقليات المسلمة في هذا الجزء الغالي من الأراضي الإسلامية في أوروبا، ذلك الكيان الشامخ العريق الذي تحاول الأيادي الغربية القضاء عليه نهائياً في

هذه البقعة من العالم ... لقد احتسى الشيخ/ بكر إسماعيل مرارة العدوان والحروب... والدمار والخراب. الذي لحق بكل شبر غال في منطقة البلقان، وهو في رحلة جهاده الفكري ... قدم للقراء في العالم العربي والإسلامي عدداً من البحوث والمؤلفات القيمة.

من أبرز ما قدم في هذا النتاج العلمي الثري :

[1] أثر اللغة العربية في اللغة الألبانية .

[2] أحداث كوسوفا الدامية إبان العدوان الصربي على لسان شهود العيان.

[3] أطفال كوسوفا بين مآسي الماضي وآمال المستقبل.

[4] بوادر الكارثة الكبرى في كوسوفا

لفضيلة الشيخ / توفيق إسلام يحيى .

[5] جيش تحرير كوسوفا قوة فاعلة في تحقيق السلام.

[6] الحصاد المر لمذابح كوسوفا.

[7] داخل محيط الحضارة الغربية -حصلت مجزرة البوسنة البشعة.

[8] العلاقة بين اللغة العربية و اللغة الألبانية

و أثر ذلك في الدراسات اللغوية .

[9] قضية مسلمي كوسوفا وهمومهم المأساوية في المحافظات الثلاث *Presheva , Bujanovci ,Medvegja*.

[10] كوسوفا أمة مضطهدة .

[11] كوسوفا بين الاحتلال و الاستقلال .

كوسوفا واتجاهات الفكر المعاصر " سلسلة قضايا معاصرة":

[23] الأستاذ الدكتور/ عبد المعطي محمد بيومي ...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[24] الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوشي...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا.

[25] الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[26] الأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندي ...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[27] الأستاذ الدكتور/ محمد رأفت عثمان ...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[28] الأستاذ الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[29] الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[30]الأستاذ الدكتور/ محمد محمد أبو ليلة ...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[31] الأستاذ الدكتور/ مصطفى محمود ...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[32] الأستاذ المستشار/ محمد يوسف عدس ...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[33] فضيلة الشيخ/ توفيق إسلام يحيى ...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[34] فضيلة الشيخ/ علي جمعة ...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[35] فضيلة الشيخ/ علي زين العابدين الجفري...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[36] فضيلة الشيخ/ محمد أحمد سحلول ...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[37] فضيلة الشيخ/ محمد الغزالى...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

[38] فضيلة الشيخ/ محمد متولى الشعراوى...

ودوره البارز في خدمة قضية كوسوفا .

من أعلام الأزهر الشريف:

[39] فضيلة الشيخ/ حسنين مخلوف، مفتي الديار المصرية
و حياته العلمية

[40] فضيلة الشيخ/ صالح موسى شرف ، حياته و فكره

[41] فضيلة الشيخ/ محمود عاشور، و دوره في نهضة الأزهر الشريف

[42] فضيلة الشيخ / محمد المختار محمد المهدى ، إمام أهل السنة
و دوره في خدمة الدعوة الإسلامية

أعلام الإعلام في الإسلام :

[53] الدكتور/ محي الدين عبد الحليم

الأستاذ و الرائد في حقل الإعلام الإسلامي

الفكر و الأدب :

[54] الكاتب و الروائي الكبير/محمد عمر الشطبي

و جهوده الأدبية و الثقافية

التراث الحضاري :

[55] الأستاذ /أحمد خليفة ، و دوره في حماية التراث الإسلامي

من أعلام الطب الإسلامي :

[56] الأستاذ الدكتور/ أبو الوفاء عبد الآخر

وجهوده في مجال الطب الإسلامي

من أعلام الاقتصاد الإسلامي :

[57] الأستاذ المستشار الدكتور /محمد شوقي الفنجري

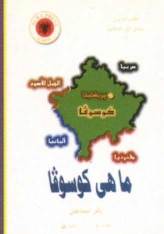
وجهوده نحو قضايا الفكر و الاقتصاد الإسلامي وخدمة المجتمع

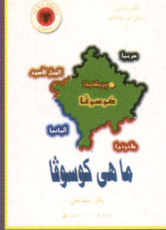
شهر 9/ 1998 م	شهر3/2000 م
شهر10 / 1998م	شهر4/ 2000م
شهر11/ 1998م	شهر5/ 2000م
شهر12 /1998م	شهر6 /2000م
شهر1 / 1999 م	شهر7 / 2000م
شهر2 /1999 م	شهر8 / 2000م
شهر3 / 1999م	شهر9 / 2000م
شهر 4/1999م	شهر10 / 2000م
شهر5 /1999 م	شهر11/2000م
شهر6 /1999 م	شهر12 / 2000م
شهر7 / 1999م	شهر1 / 2001م
شهر8 / 1999م	شهر2 / 2001 م
شهر 9 / 1999م	شهر3 /2001 م
شهر10/1999م	شهر4/2001م
شهر11/ 1999م	شهر5 / 2001م
شهر12/1999م	شهر6 / 2001م
شهر1/ 2000م	شهر7 /2001م
شهر 2/2000م	

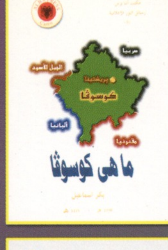
فهرس الكتاب

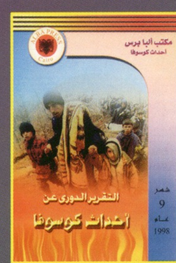
أحداث كوسوفا

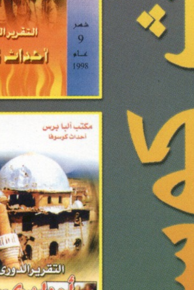


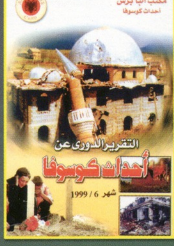


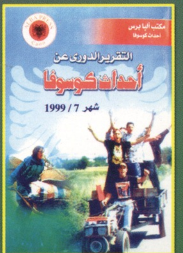


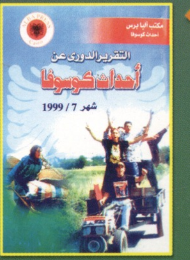






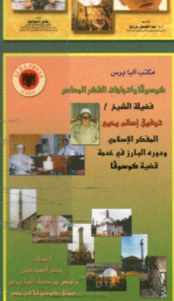














٣١ ش أحمد حسنى
رابعة العدوية - مدينة نصر
هاتف/فاكس : ٤٠٣٥٩١٢ - ٠٢٠٢